من نقرة سلمان إلى حفر الموت

كتابة :- لطيف فاتح فرج
المترجم :- يوسف زنگنه

أسم الكتاب: من نقرة سلمان إلى حفر الموت
المؤلف: لطيف فاتح فرج
المترجم: يوسف زنگنه
تصميم: أنجام سعيد

إهداء المترجم

- الى كل عربي يتفهم القضية الكردية.
- الى أبنائي / سمير / أمير / هيمن.
- الى زوجتي التي وقفت في جـــانبي عنـــد أحلـــك الظروف.

وأخيراً الى كل من يكتب حرفا للمؤنفلين.

تمهيد

لا أدري من أين أبدأ ؟ وكيف أبدأ ؟ حيث هذه الأرض الممدودة ليس فيها مكان يقف عليه إنسان . لان كل شبر من تراب هذا الوطن يحتوي رفاة إنسان من هذا البلد أعدم وقتل ودفن من قبل صدام وجلاوزته، فقصص المقابر الجماعية في العراق تذكرني برباعيات (خيام) الشعرية، حيث يقول (كل المزهريات مصنوعة من أشلاء وعظام البشر) .

الحديث عن صدام وحزبه (حزب البعث) وشعارات وهتافات البعث. وعن حروب صدام الخارجية والداخلية ضد شعبه ، وحول العالم المحيط به وعن المجازر والمقابر الجماعية ....الخ

كل هذا يحتاج الى وقت طويل وهنا لا أريد الخوض في تفاصيل هذه المواضيع .

ويجب أن لا ننسى أن الذي وراء صدام وجرائمه هو حزب البعث العربي الأشتراكي ووراء هذا الحزب المئات بل الألوف من المجرمين الصغار والكبار ساهم كل واحد من هؤلاء بشكل أو بأخر في المجازر والمقابر الجماعية .

في الحقيقة يجب أن نعرف بأن صدام أرهبنا . وعدا صدام هنالك العديد من الأسماء التي ترهبنا وتخفينا . فالعراقيون يتخوفون منها على مر المئات من السنين القادمة على إن هؤلاء بشر مفترسون .. وهؤلاء سيبقون في ذاكرة العراقيين كوحوش زمانهم .. وسيدخلون سجلات التأريخ السوداء بسبب إجرامهم الوحشي .. ونستطيع لمئات السنين القادمة أن نضرب الأمثال لأجيالنا على وحشية (علي حسن المجيد) الملقب بـــ(علي الكيمياوي).

لطيف فاتح فرج

لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية للضحايا الأكراد

بعد سقوط نظام البعث مباشرة بادرت حكومة أقليم كردستان بتشكيل لجنتين للبحث والعثور على المقابر الجماعية والتعرف اليها وتم تكليفي وأثنين من أصدقائي بالبحث في الجنوب .

وبعد جلسة أو جلستين مع الدكتور (برهم صالح) والأخ (صلاح رشيد) أنطلقنا نحو الجنوب .

وبحكم عملي كصحفي أسعدت جدا بهذا الشرف كي أستطيع في المستقبل تدوين الوثائق وألتقاط الصور وتقديمها للقراء ،هذا من جهة . ولكني تأثرت وحزنت كثيراً في نفس الوقت لأننا نبحث عن رفاة المؤنفلين الذين مازالت عوائلهم تنتظر عودتهم بشوق .. فإذا عدنا ماذا نقول لأمهات المؤنفلين؟ نقول هذا رفاة وعظام أبنائكن؟ كيف نستطيع أن نسلب حق الإنتظار منهن؟ ونقول لهن لا تنتظرن وعلى طول السنوات الماضية لم تستطع أية جهة ان تقول لهن ذلك صراحة.

كل هذه الجروح والآلام عاشت معي طول رحلتي وقد عشت قبل هذا عشر سنوات بين ظهراني عوائل المؤنفلين . وأطلعت من قرب على معاناتهم في الوقت الذي كنت فيه أستطيع العيش في مدينة السليمانية وأمارس مهامي الصحفية .. وكم من مرة دعيت الى ذلك ولكني أخترت العيش مع هذه العوائل .. فتعايشت مع جروحهم وآلامهم في الأنتظار وأخيراً لم يجنوا من الأنتظار سوى الدموع .

تألفت لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية من (منصور محمد كريم) المدير العام في وزارة حقوق الانسان والمرحلين والمؤنفلين و (آريان محمد علي) الحقوقى في الوزارة و (صمد زنگنه) من مكتب حقوق الانسان وانا كصحفي .

بدأت رحلتنا في نهاية شهر آيار ، وقبلها سافرت مرتين الى بغداد بعد سقوط (صدام) . الاولى كانت في (2003/4/17) أي بعد ثمانية أيام من سقوط الصنم وكانت الغاية من الرحلة مشاهدة آثار الحرب الأخيرة وما سببته من دمار على العراق وكرحلة صحفية .

وفى ذلك قد أكون أول صحفى زرت بغداد من أقليم كردستان .

رأيت بغداد وكأنها معسكر كبير ... بغداد مملوءة بالأعتدة والأسلحة والمدرعات والدبابات تجد هذه الأشياء في كل

أزقة بغداد تقريباً.. وفوضى تعم العاصمة.. وألسنة الدخان تتصاعد من الوزارات والمؤسسات وتتطاير في الهواء .

ورحلتي الثانية الى بغداد كانت في نهاية ذلك الشهر مع عدد من نساء المؤنفلين وعوائلهم . وضمت هذه الزيارة، وفود السليمانية وهولير وجمجمال وكركوك ... وضم الجميع عدد من الباصات التي تقل الواحدة منها (48) فرداً ... وصلنا بغداد .. ونزلنا في ساحة التحرير مع عدد هائل من نساء المؤنفلين .. اللواتي يردن إيصال صوتهن الى كل الدنيا ..... وفي تلك الأثناء كانت بغداد تعج بالقيادات والمسؤولين الأكراد وهناك رؤساء كرد .. ولكن لم يستقبل أحد من أولئك . هؤلاء النساء اليائسات المتشحات بالسواد الكامل .. لم يلق أحد من المسؤولين التحية عليهن .. فصار (كارنر) كالطائر العنقاء ولم يستطع أحد الأمساك به ... فنساء الكرد كن يحملن صور ضحاياهن على صدورهن . وتعجن بالبكاء وتذرفن الدموع .. والكاميرات تصورهن من كل صوب . والقيادة الكردية لم تكن هناك في الوقت الذي كان يدور كل أحاديثهم حول كوارث الأنفال وضحايا الجريمة .

قدمت فرقة (نالي) القادمة من (هولير) إستعراضين متواضعين ... وجمعية الفنون الجميلة التي جاءت من

"جمجمال" كانت تأمل في القيام بأستعراض ولكنها عندما رأت عدم حضور ولو مسؤول كردي واحد من المتواجدين في بغداد وأحسوا بغربة هناك ، تخلوا عن إداء العرض ، وقام عدد من الفنانين بعرض عدة لوحات فنية للصحفيين تتعلق بالكارثة .. فكان هذا كل كلامنا في بغداد عن كارثة الأنفال .

وشاركنا في هذه الرحلة الطالب (دلير علي كرم) وكان يولي القضية أهتماماً بالغاً .. وسأتحدث عنه في الصفحات القادمة "رحمه الله" كان حينها طالباً في الصف السادس الأعدادي.

سافرت قبل هذه الرحلة الى بغداد مرتين .. ولكن رحلتنا هذه كانت منظمة وفترتها أطول من الرحلتين اللتين سبقتا هذه الرحلة .

توجهت لجنتنا الى بغداد على أمل الحصول على وثائق وشواهد وأوراق ومستمسكات تدين المجرمين ... ومن ثم السفر نحو الجنوب ..

في أول لحظة دخولنا العاصمة (بغداد) قابلنا عضو مكتب سياسي وهو مسؤول كبير فنظر بإهمال الى مهمتنا وقال لنا (أنتم مجانين ليس إلا)

وحينما سمعنا هذه الكلمات من هذا المسؤول أزددنا تصميماً وعزماً على إداء مهمتنا . ولم ننكسر أو نتخاذل عن إداء الواجب وقلنا لا نحتاج الى مساعدة أحد ، سوى أولئك الشهود الذين يعرفون أماكن المقابر الجماعية من سكان الجنوب .

ومن هنا أريد أن أذكر للتأريخ دور الدكتور (برهم صالح) و (صلاح رشيد) حيث قدما لنا كل أنواع العون ... وكانا يقولان لنا (إن هؤلاء المؤنفلين هم عوائلنا وبما أنهم من كردستان فهم إخواننا)

وأنتم ترون الفرق بين هذين القياديين في الرأي ... فمنهم من (يأكل الخبز والبصل بالقضية) كما يقول المثل الكردي .... ومنهم من له موقف الدكتور برهم و صلاح رشيد ، أما نحن في اللجنة فأصررنا على مواصلة العمل .

البحث عن الأحبة

كانت خطوتنا الأولى نحو (الحيدرية) (خان نص) بين النجف وكربلاء ... أجتمع في ذلك المكان أغلب شيعة العراق الذين قدموا للتنقيب عن شهدائهم وكانوا يستريحون حول (مركز الخان) ويسمونه (خان ربع) أيضاً . سكان المنطقة هادئون ويشتغلون غالباً بأمور الحياة اليومية.

وقد ظلمهم نظام صدام كثيراً، وظهرت في هذه المنطقة مقاومة عنيفة وواسعة لكن صدام محاهم .

عانى الشيعة على العموم كثيراً من ظلم البعث على الرغم من أنهم يمثلون الأغلبية في العراق، (55%) من سكان العراق ، مع ذلك نادراً ما تسلم الشيعة مناصب مهمة في الدولة العراقية فلحين سقوط صدام تبدل رئيس الوزراء أكثر من (72) مرة كان نصيب الشيعة (5) مرات فقط وهؤلاء الخمسة شكلوا الحكومة (6) مرات فقط .

ويجب أن لا ننسى انه خلال (25) سنة على تكوين دولة العراق ... شكل الشيعة الحكومة في عهد (صالح جبر) سنة

1947 مرة واحدة ومن سنة 1958 الى سقوط صدام شكل شيعي الحكومة مرة واحدة وهو(ناجي طالب) في 6/آب سنة 1966م.

ومن هنا ندرك مدى مظلومية الشيعة على الرغم من أن شيعة العراق يتباهون بعراقيتهم ولكن هذا لا يكفي ولا يمنع بأن يتعرضوا الى حملات إبادة جماعية وقتل وتشريد وأعتقال ، فكنا نرى أعتقالهم وسجنهم في زنزانات النظام بحجة وتهمة التشيع والإيرانية .

ولزيادة المعلومات حول مظلومية الشيعة يمكن للقارىء الكريم أن يراجع الكتب التأريخية في هذا المجال مثل كتاب الدكتور (حسين الشهرستاني) (الهروب الى الحرية)، وهي أفضل شاهد على أقوالنا .

الشيعة يؤكدون دوماً على إن هناك طائفتين مظلومتين في العراق هم (الأكراد والشيعة) وهؤلاء يمثلون ثلاثة أرباع سكان العراق والشيعة يتعاطفون مع الأكراد ويحبونهم ، فتوضحت لنا هذه الحقيقة أثناء رحلتنا هذه ويمكن أن يكون السبب في أرسال الكرد ليقتلوا ويدفنوا في الجنوب. هو لمحو القومية الكردية من جهة وتخويف وترهيب الشيعة. وهذه هي الحقيقة .

قبل ذهابنا الى الحيدرية مررنا بكربلاء وهناك زرنا (جمعية حقوق الأنسان في العراق/ فرع كربلاء) حيث مجموعة منشغلة بأعمال ونشاطات الجمعية وبعد ذلك تغير إسم الجمعية الى (مراقبة حقوق الأنسان) ومن أولئك العاملين في الجمعية (وصفي كناني ومهند كناني وآخرون) ومهند هو المسؤول عن المنظمة وهو رجل هادىء يدرك مسؤوليات مهنته جيداً .

كان يساعد المواطنين كثيراً وهم منشغلون كثيراً بحقوق الأنسان ، وقاموا بتأسيس عدة لجان أخرى وكانوا يعرفون مكان (29) مقبرة جماعية بالقرب من الحدود .

وإحدى تلك المقابر عائدة (للأكراد) ويجب علينا زيارة تلك المقبرة ، وهذه القبور الجماعية تم معرفة مكانها بمساعدة سكان المنطقة ، فأخبروا الجهات المعنية عنها ، وهؤلاء المواطنون أعلمونا بمقابر الكرد .

وبعد أستراحة قصيرة أتجهنا سوية نحو الحيدرية . والحيدرية تبعد حوالي 80كم عن كربلاء نحو النجف ، والناحية تقع بين النجف وكربلاء .

وتلك المنطقة التي توجد فيها رفاة الكرد تسمى (المزارع ــ الخط الثالث).

وأثناء خروجنا من الناحية برفقة عدد من الشهود على المقابر الجماعية وهم كل من (عباس عاصي وكريم عطية وعلي عبد الأمير) وفي الطريق وداخل سيارة (الكيا) كانوا يتحدثون عن تلك الأيام التي نفذت فيها حملات الأنفال والأعدامات وتم قتل الضحايا وكانوا يسمعون عويل وبكاء هؤلاء الكرد . وهتافات ((الله أكبر) وصيحاتهم . وسماعهم أصوات العيارات النارية لعفالقة النظام .

وأعطانا (كريم) في شدة ثلاث ساعات ومحفظة جيب (جزدان) وعدداً من "هويات الأحوال المدنية" تعود للضحايا وللأسف الصور والكتابات المدونة على الهويات كانت ممسوحة كلياً ، ولكن سعدنا بوجود معلومة (عدد المحافظة) على الهوية . والساعات كانت متوقفة وعاطلة في هذه الأوقات 02:9 الثانية وتسع دقائق ، وكذلك 10:05 العاشرة وخمسة دقائق ، وكذلك 8:05 الثامنة وخمسة دقائق . وكانت نوعية الساعات وماركاتها هي ساعات (الأورينت) وعلى الصفحات القادمة نتحدث عن تلك الساعات ، وعند وصولنا المكان وجدنا (جمعية حقوق الأنسان/فرع كربلاء) قد خطت بخط واضح على لوحة معدنية الآتي (المقبرة تعود لأبناء شعبنا الكردي العزيز ـــ

بأشراف منظمة حقوق الأنسان . فرع كربلاء ـــ الحيدرية ـــ يحرم الدخول اليها) .

وعند قراءتي لهذه اللوحة، انتابتني موجة حارة وقوية من البكاء وبغزارة ،

لا أدري في تلك اللحظة التي رأيت فيها رفاة ضحايا الكرد الغرباء تحت رمال الصحراء تذكرت تلك اللوحة التي رسمتها عن الصحراء وهي عبارة عن قصة المؤنفلين في الصحراء وهي رفاة الكرد وفوقها وردة النرجس وهذه هي تلك الصورة اراها مجدداً .. تمالكت نفسي كى لا اظهر ضعيفاً في هذا الموقف المختلط بالبكاء والبكاء ليس من شيم الرجال كما يقال ويعني الضعف أحياناً، وفي اعتقادي هنا الرجال مظلومون لأن الآخرين لا يتركون الرجل يبكي براحته وينفث أحزانه العميقة ودموعه المنحصرة .

في الصحراء ومع أخوتنا العرب الذين تجمعوا حولنا .. قرأنا سورة الفاتحة على روح الضحايا ثم أجتمعنا الى أحاديث هؤلاء المتجمعين . فسردوا لنا روايات واقعية حيث قال (محمد عبدالواحد جوهر) حينما كنت راعياً في المنطقة رأيت ثلاث سيارات كبيرة وعدة سيارات صغيرة جاءت الى هذا المكان . وقبلها بأيام رأيت عدة شفلات

قامت بحفر عدة حفر ، ثم سمعت أطلاقات عيارات نارية فتحققت منها فتأكدت بأنها إطلاقات إعدام أبرياء .
يبلغ عرض المقبرة الجماعية 20 متراً وطولها 60 متراً ... وفي متر مربع واحد من المقبرة يتواجد رفاة وعظام 12 ضحية تم إخراجها .
هذه أول رحلة لنا الى الجنوب وهذه أول مقبرة جماعية ذهبنا اليها في الجنوب ، وقبلنا كانت لجنة حقوق الأنسان برفقة السيد (سعدون فيلي) نائب وزير حقوق الأنسان والمرحلين والمؤنفلين قد زارت (الشنافية) حيث مقبرة جماعية أخرى أكبر من هذه المقبرة . فكان عدد الضحايا داخل المقبرة يبلغ الآلاف.

الجنوب مناطق مدمرة

لم يترك نظام البعث في كل مناطق الجنوب سوى الخراب .
الخراب داخل المدن الكبيرة ... الخراب في الأزقة والشوارع الرئيسية وفي (الكورنيشات)
فأجمل المحلات والدكاكين تجري من أمامها مجاري المياه فتمحوا كل ماهو جميل .
هذا المظهر يتكرر في كافة المحافظات في البصرة والناصرية والسماوة وكربلاء ، تعمد البعث عدم تطوير تلك المناطق.
وكما هو معلوم كانت القيادة السياسية العراقية خالية أو نادراً ما نجد فيها قيادياً من كردستان والجنوب . وقام النظام بتصفية كل أولئك ومن تبقى فهم جواسيس البعث وأزلامه .
كانت سياسة النظام تهدف الى تهميش تلك المناطق من العطاءات وحملات الاعمار والجميع يعلم أن هموم البعثيين كانت شراء الدبابات قبل بناء مدرسة.
وكان يكفي تلك المحافظات الأموال التي تصرف على التماثيل والصور الصدامية كي تزدهر وترتقي .
وهذا الأهمال المتعمد أشعر المواطن الجنوبي باليأس التام .

ونحن في الجنوب لم نشاهد أي مَعْلَم للجمال سوى جمال فتيات الجنوب.

لذلك سكان مدن "البصرة والسماوة والناصرية" لم يهتموا ببناء وتجميل مساكنهم وكذلك لم يفكروا حتى في إقامة حديقة وزراعتها بالزهور لينعموا بروائحها الزكية .

كان الجنوب في عهد النظام عبارة عن معسكر كبير لايحتاج الى حدائق و زهور ...

ولا تندهشوا أو تعجبوا لو قلت لكم في كل محافظات الجنوب لا توجد حدائق بعدد حدائق مدينة السليمانية وحدها (وقت كتابة هذا الموضوع صيف 2003) ، وبدل كل حديقة بنى البعثيون هناك معسكراً .

معسكر مليء بالعتاد والأسلحة والمدافع مليء بالظلم والقمع والأرهاب والعذاب. ومناظر المعسكرات تذكرنا بجبروت البعث ونحن حينما نقول الجنوب عبارة عن معسكر كبير ومهجور . فنذكر لذلك مثالاً لمدينة كبيرة كالبصرة ..فبالقرب من موانىء المدينة وشواطئها تشاهد المياه الآسنة وجريان مجاري البيوت وترى أكوام القمامة فتفقد المدينة كل جمالها ولا ترى رمزاً للجمال . وتعتبر أكوام القمامة مركزاً مهماً للفئران والجرذان والقطط، وبسبب قربها من

الفنادق والمطاعم . فترى أكوام الذباب والصراصر بالقرب من تلك الفنادق والمطاعم .

فالجنوب عبارة عن خراب في خراب وتشعر بخوف شديد في بعض الأماكن والأزقة لأن على مدى النظر لا ترى إلا خراباً وفراغاً .

ونجح البعث في جعل المنطقة يابسة قاحلة كي يستطيع السيطرة عليها ..

وأستطاع النظام أن يعرف إيرادات كل منطقة ويضعها تحت سيطرته .. كان النظام يستطيع توزيع الثروة بالتساوي على كل محافظات العراق ويجعل من العراق أجمل دولة على الصعيد العالمي بسبب تواجد النفط والمعادن ووجود الأماكن المقدسة والمناطق السياحية والزراعية ...الخ

ببساطة كنا نستطيع أن نجعل بلادنا أجمل بلدان العالم لو لا سيطرة البعث على دفة الحكم في العراق .

ونرى في هذا الجنوب الواسع والكريم بدل كل شيء جميل هناك مقبرة جماعية .

مقابر جماعية للأكراد ... مقابر جماعية للجنوب خصوصاً ضحايا إنتفاضة سنة 1991 وهناك الناس دائماً يتحدثون عن المقابر الجماعية ويقولون: تحت ذلك التمثال مقبرة ....

وتحت ذلك القصر مقبرة .... ففي كل مكان يمكن أن تتوقع مقبرة جماعية .

فمثلاً أمام مبنى كلية الأدارة والإقتصاد مقبرة جماعية أحاطها البريطانيون بالحواجز ... وترى أمهات الضحايا خلف الحواجز الحمراء يبكين بحرقة على ضحاياهم .

وهناك مقابر جماعية في داخل ثاني أكبر مدينة والناس لا يعلمون بها فيرمون القمامة والأوساخ في مكان المقبرة الجماعية .

ومن الواضح إن أغلب القيادات البعثية هي همجية قادمة من مناطق نائية بعيدة عن المدينة ... فهم لايفكرون إلا بعقلية متخلفة ويعملون بنفس العقلية .

فنرى مثلاً مدينة مثل (تكريت) بعدما كانت منطقة نائية كقرية تحولت مباشرة الى محافظة كبيرة على حساب المحافظة الأصلية .

وهذا التفكير القبلي موجود باستمرار . فمثلاً رئيس القبيلة لا يسمح لأي شخص في القبيلة أن يشيد داراً أكبر من داره. وكذلك الحال مع صدام .

وهناك الكثير من الذين يروون لنا كيف كانت العوجة تعج وتزدحم بالمواد الغذائية الجديدة وبأسعار زهيدة في ظل

الحصار مقارنةً بباقي محافظات العراق ولا يسمح لعراقي بأخراج شيء الى منطقة أخرى .

ويقول رجل دين شيعي (إنها لكارثة كبرى أن تحكم قرية مثل العوجة العراق ... العراق بهذا التأريخ العظيم وبكل هؤلاء العلماء والحكماء)

ويقول رجل الدين نفسه (ولو كانت قرية عدلة بدل عوجة لكانت أفضل) !

منذ سنة 1963 الى سنة 2003 أكثر من (20) شخصاً من مدينة تكريت سيطر على أغلب مناصب الدولة .

ولم يتسلم شخص واحد من كردستان أو الجنوب على مدى أربعين سنة من حكم البعث منصباً مرموقاً .. سوى (10) مناصب قريبة من السلطة . ولمحو كل ذلك الخراب والدمار الذي تعرض له الجنوب فنحن بحاجة الى إمكانيات ضخمة وصبر كبير .

إن الذي دمره البعث خلال (35) سنة لا يمكن بناءه بسنة أو سنتين .. ويجب أن لا ننسى في النهاية نحن في أكبر مقبرة ... وهو العراق . فلو لاسمح الله ، إستمر صدام وزمرته في الحكم عشر سنوات أخرى كانت أجسادنا نحن الأحياء تحت الثرى والتراب فمن يجدها ...؟

كوارث الأكراد والشيعة

كل من يزور العراق لعدة أيام يظهر له بوضوح المصائب التي وقعت على الكرد والشيعة .

فعلى مر التأريخ العراقي الحديث حكمت الأقلية السنية الشيعة والكرد وعذبتهم عذاباً شديداً ... على الرغم من أن السنة يمثلون 18% من سكان العراق .

والأكراد 19ـ 20% والشيعة 55% ودائماً كانت قيادة الجيش والمهمات الدبلوماسية بيد هذه الأقلية .

وكانت نظرة الأقلية السنية العربية الى الشيعة والأكراد نظرة متعالية عدائية.

فيتهمون الكرد بالإنفصالية وإشعال الحروب ويتهمون الشيعة بالأعاجم والتبعية والولاء للغريب ... والعجم في اللغة العربية نوع من الحيوان .

وعلى مدى 35 سنة من حكم البعث كان حكمهم مليئاً بالمظالم ضد الكرد والشيعة في العراق . فهكذا كانت تتعامل العرب السنة وبهذه العقلية مع غيرهم . ودائماً كانت سجون ومعتقلات البعث مفتوحة أمام الأكراد

والشيعة وأغلب السجناء والسياسيين في عهد النظام من الكرد والشيعة ....

ونادراً ما رأينا سجن أو فصل عضو سني من وظيفته لإنتمائه السياسي ... وفصله كان فقط من حزب البعث أو السلطة وليس الوظيفة ... وهذا الفصل الحزبي شمل أقرب المقربين من صدام وبمراحل متتالية .

أغلبية سكان الجنوب تدرك تلك المظالم والمآسي التي لحقت بالشعب الكردي والشيعة فإن همومنا وغمومنا مشتركة ... وطول تواجدي في الجنوب لم ألتق سوى بمثقف واحد يدعي الثقافة وهو شاب يعمل في مركز ثقافي في السماوة كان يخاف "الفدرالية" ويقول أنها (بدعة) وتعني تقسيم العراق، والظاهر أن هذا الشخص لم يقرأ كثيراً عن الفدرالية.

والحقيقة أن الأكراد والشيعة لهم عدو واحد ألا وهو (حزب البعث العراقي)

وقبل ذهابي الى الجنوب كنت أعتقد أن مظالم البعث وقعت على كردستان فقط .

والظلم الأكبر وقع على مدينة كركوك بتدمير كل مقومات الحياة في المدينة وترحيل وتهجير أهلها وأعدام وأعتقال شبابها بغية أن يعم شوارع المدينة الوشاح الأسود لأمهات المعدومين والمعتقلين الكرد .

وشاهدت المناظر والمشاهد عينها في الجنوب. هدم لكل مرافق الحياة الحيوية واللون الأسود يكسو نساء الجنوب .

وكل هذا الظلم وقع على الكرد في كركوك بسبب إنتمائهم القومي وتواجد النفط بشكل كبير في المدينة وهذا يدركه العالم .

ورأيت في الجنوب مقابر جماعية لنساء وأطفال وشيوخ الشيعة ... الكل مدفون بملابسه .. وأغلبهم دفن سنة 1991 بعد الإنتفاضة .. واستخدمت الأسلحة الكيمياوية هناك أيضاً ... وحرقت المزارع والبساتين والحقول هناك وردمت العيون والمنابع إنها نفس مصائب ومآسي الكرد التي ألحقها النظام بهم. فخوفاً من بطش البعث مات الآلاف من العوائل الكردية الهاربة الى حدود إيران سنة 1991 خوفاً من بطش وفتك نظام صدام ... فماتت الأغلبية من البرد والجوع ..

وهناك مئات المقابر الجماعية على الحدود بين إيران والعراق .

وهناك آلاف الضحايا الذين دفنوا في مدن إيرانية عند هروبهم من فتك الجيش فمات أغلبية الكرد في ديار الغربة في إيران . وهناك الآلاف من الأعزاء والأحبة المجهولي المصير منذ عشرات السنين لا نعرف لهم مكاناً أو خبراً ليس لهم ذنب سوى إنهم أكراد .

ولأخواننا الشيعة نفس العدد من الذين ماتوا جوعاً وعطشاً وحراً على الحدود بين العراق والسعودية والأردن . هذه العوائل التي هربت من قساوة وبطش النظام . من سكان البصرة والعمارة والنجف وكربلاء وأكل رفاقهم الذئاب الليلية على الحدود مع السعودية أو نهشتهم الكلاب السائبة ولم ينج منهم سوى القليل .

وحدثني رجل من كربلاء عن مصرع عزيز له . قال (توفيت زوجتي أمام عيني . حيث كانت ترتجف بشدة ، وتعرقت عرقاً بارداً ، ففاضت روحها) وكذلك حدثت لأبنته نفس حالة زوجته ، فقام الوالد بربط الفتاة بشدة كي لا ترتجف أمام عينه .. ففارقت المسكينة الحياة على غرار والدتها ، وعند وصولهم الى إحدى المعسكرات السعودية يخبروهم كي يعيدوا الرفاة ... وحينما يصلون المكان ، يشاهدون رفاة الأم والبنت في فم الكلاب والذئاب وعندما كان يروي لي هذا العربي الجنوبي القصة أو الحادثة كان يبكي بحرقة وألم .

إنها تراجيديا شعب الجنوب .... نفس قصص وحكايات المعتقلين الأكراد في نقرة سلمان .

فعندما كان يموت معتقل كردي هناك ، يقومون بدفنه فيقوم الكلب الأسود بأخراج الضحية ويأكلها وينهشها ويمزقها تمزيقاً .

فالأكراد والشيعة يلتقون ويشتركون في نقاط كثيرة ...

وحينما كان يعلم أصدقائي ومعارفي في جمجمال وشورش ومناطق متفرقة بأني عضو في "لجنة الجنوب" للبحث عن المؤنفلين فكانوا يأتون بأسماء ذويهم المؤنفلين لأبحث عنها في المقابر الجماعية .

وذات مرة جاءني رجل من دوكان حاملاً أسماء أثنين من أخوانه المؤنفلين كي أبحث عنهم في الجنوب ... وأخذت منه الأسماء... وكذلك الجنوبيون كانوا يعطوني أسماء ذويهم المفقودين كي أبحث عنهم في كردستان ... وهذه نقطة ألتقاء أخرى في مصائبنا ...

ويجب أن لا ننسى أن المناضلين من الأكراد والشيعة كانوا شركاء مصير واحد في سجون أبو غريب وفي مراكز الأستخبارات العراقية في كل مكان في العراق ...

والقيادات السياسية الكردية والشيعية تمت تصفيتها وأعدامها في سجون الطاغية وهذا الألتقاء في المصائب بين الكرد والشيعة يقلق العرب السنة ، فهم ينظرون الى مصائب وويلات الشعبين على أنها وحدة منبثقة من هذه المصائب ، وأن هؤلاء لا يدعونهم أن ينفردوا مرة أخرى بالسلطة .

وكانت الأقلية السنية آبان حكم البعث رمزاً للأستبداد والظلم والتعسف فالبعثيون ربوا السنة على أحتكار السلطة والأرهاب ، وحزب البعث قدم للعرب السنة كافة التسهيلات لضمان رأيهم ، وعمق الخلافات بين الشيعة من جهة ومع الأكراد من جهة أخرى في العراق .

الجنوبيون ذوو العيون السود .. شاركونا الهموم

مشاهدة هذه العبارة في الحيدرية (تعود هذه المقبرة الى أخواننا الأكراد) أبكتني من الأعماق وهزت كياني وهناك أخذ بيدي أحد إخواني العرب وواساني، عندها تذكرت قطعة شعرية للشاعر "طؤران" ورددتها في مناسبات أخرى حيث يقول:

أخي العربي ذو العيون السود

مرُّ نصيبك . ومرٌ نصيبي

جرعنا المرّ في كأس واحدة

مما جعل منا أخوين نتذوق العسل

إذ لولا سياسة البعث الشوفينية وأعوانه من بعض العرب لكان أغلب عرب العراق يجيدون اللغة الكردية بطلاقة. حالهم حال أغلب الأكراد الذين يجيدون اللغة العربية .

وفي السماوة سألني مواطن "لم لا تبعثون لنا عدداً من المعلمين الأكراد كي يعلمونا اللغة الكردية"

وهناك قلت له أن رئيس وزراء العراق كان حينها لا يجيد كلمتين بالكردية ...فكيف يحمي الأكراد ...؟ فمنذ عهد "عبدالرحمن النقيب " الى عهد صدام تسّلم كردي واحد منصب رئيس الوزراء ألا وهو (احمد مختار بابان) وكانت مدة ولايته قصيرة جداً بحيث ما أستطاع مواطن كردي كتابة (عريضة) له. وممن قدم لنا تسهيلات كثيرة وحمل هموم قضيتنا كان الصديق (منيف كامل) حيث ساعدنا كثيراً ... ولقاء خدماته لنا .. قررنا مساعدته مالياً .... فإذا به هو الذي يريد أن يقدم لنا مساعدة مالية ... ومنيف .. شاب من السماوة ... كان يفتخر بصداقته للكرد وقربه منهم ، وكان سعيداً برفقته لنا في الرحلة .

ونحن في هذه الرحلة كسبنا كثيراً من الأصدقاء ويسعدنا أن نتحدث عن كل واحد منهم .... وهم:

أ_ منيف كامل الزيادي

يبلغ عمره ما بين (25_ 30) سنة . شاب نبيه نشط كان يعمل بين السعودية والعراق . وهو يرغب كثيراً أن يتعلم اللغة الكردية ، وكان يفخر بعروبته ، وكان يحمل مسدساً تحت أبطه ويتعامل مع الضيف كالعربي الأصيل وله ثلاث

إخوان آخرين ، قدم لنا عوناً كثيراً . وأبدى أستعداده أن يقدم لنا كافة التسهيلات التي نحتاجها ويأتي معنا حيث نريد .

2_ كريم عطية حسن

من الحيدرية (خان نص) شاب أسمر متوسط الطول . وهو الذي حمل معه ساعات الضحايا وكريم عانى كثيراً في معتقلات وزنزانات النظام . قام النظام بأعدام ثلاثة من أبناء عمومته . مازال مكان رفاتهم مجهولاً . بتهمة أنتمائهم لحزب الدعوة ، وكان يبحث عن رفاة أبناء عمومته الثلاثة .. وكريم أخذنا الى مقبرة "المزارع" وهناك قام بأخراج الضحايا واحداً تلو الآخر كي نراها وكان يرشدنا الى مكان الرصاصة في رأس الضحية ، تلك الرصاصة التي أطلقها البعثيون ، وكريم يبلغ من العمر قرابة 25 سنة.

3_ بشير صالح

من البصرة يبلغ حوالي 40 سنة كان يعمل مع (منظمة حقوق الأنسان / فرع البصرة) رافقنا الى المقبرة الجماعية التي تقع أمام جامعة البصرة .

حدّثنا في سيارة التاكسي عن تلك الفتاة الصغيرة التي كانت من بلدة (زراين) حينما سمعوا صوت بكائها في احدى ليالي سنة 1988 عندما كان بشير جندياً هناك . فلما ذهبوا الى حيث الفتاة ، وجدوها تبكي فبقيت تلك الفتاة معه ومع صديقه الى أن عثروا على أهل الفتاة وسلموها لهم ..

ويقول بشير أن أقرباء وأهل الفتاة موجودون اليوم وهم يعرفون المزيد عن الحادثة .

وعدا هذه الأسماء .. هناك المزيد من أولئك الذين نتحدث عنهم في الصفحات القادمة من الكتاب .

وكلما ذهبنا الى منطقة كان أخواننا الجنوبيون يقدمون لنا النصائح والارشادات .. ويحذروننا من اللصوص وقطاع الطرق وعلينا أن نحذرهم .

وكثير من هؤلاء الأصدقاء كان يحاول رفع التهمة (تهمة المقابر الجماعية) عن العرب .. ويقولون (أن الذين قاموا بهذه الجرائم هم البعثيون)

وكنا نجيبهم (لا يوجد واد بدون واوي) أو (ليس كل أصابع الأنسان متطابقة) .

وهؤلاء كانوا صادقين في أقوالهم ، وكان هناك من ينظر الى مهمتنا بأستهزاء ويقولون لنا (حملتم القضية أكثر من

اللازم) وكان فيهم نفعي يريد الحصول على المال منا .

وأعلمنا صديق من الجنوب (بأن هناك من الأشخاص مَن كان موجوداً في العمليات وهو أحد منفذيها ولديهم معرفة تامة بمكان المقابر الجماعية .. واليوم هؤلاء يبيعون تلك المعلومات)

وفي الجنوب مازال البعثيون نشطاء . فمثلاً ذات مرة تحدث رجل عن البعث وهو يهمس من تحت شفتيه ... وبعد حين عرفنا إنه كان يخاف بطش البعثيين .

ويعود هذا الخوف الى تلك السنوات الـ35 التي أستخدم النظام فيها الحديد والنار مع العراقيين .

وبعد جولتنا في الجنوب تأكدنا بأن لا يوجد شخص هناك لا يخاف بطش وظلم البعث .

فحتى البعثيون أنفسهم يخافون من البعث ، وقد يكون صدام الرجل الوحيد الذي لا يهاب البعث.

وبصراحة كان"قصي وعدي وطه ياسين" يخافون من البعث ... فالبعث أرهب الجميع ، وهو الحزب الوحيد في تأريخ الأنسانية مارس البطش والقمع والظلم بأقصى مدى على مواطنيه . فالبعث سلب أنسانية الأنسان . فالبعثيون لا يعاملون الآخرين على أنهم بشر ، وهؤلاء الآخرون لا

ينظرون الى البعثيين بأنهم من جنس البشر . وهم ينظرون الى الآخر نظرة حقارة وأستهزاء .

وهذه النظرة هي تربية قديمة للبعث لأعضائه ، فهم يحقرون (الفارسي و التركي و العربي الكويتي والعربي السعودي والغربي) . وهذه النظرة خاصة بالبعث . وفي تنظيماتهم ينظرون نظرة أستهزائية حقيرة الى خصومهم .. خصوصاً .. الأكراد .

البكاء على الرفاة

تمثل كل تلك الأطلاقات في رؤوس ضحايانا كوارث ومصائب لنا .. في أكثر المقابر الجماعية يتكرر هذا النوع من الموت .

ومواضع تلك الأطلاقات يوضح في تلك الصور التي ألتقطناها. في أكثر من موضع ومكان أبكتنا المقابر الجماعية ، ومما أثار دهشتي بكاء إخواننا العرب أيضاً .

وأغلب هذه الرفاة هي رفاة أكراد لا ذنب لهم سوى أن الباري خلقهم أكراداً .

من هنا أردت أن أبحث التهمة الموجهة الى هؤلاء ، فالمتهم معروف (النظام وجلاوزته) ولا حاجة الى أثبات تهمتهم .

بل أريد أن أبحث تهمة (الكرد)

وهذه لها علاقة بتأريخ وسياسة الغرب .. وتقسيم كردستان بين ثلاث أو أربع دول متصارعة ، هذه الدول تأريخها مليء بالقتال والعنف والثأر وعدم المصالحة .

فماذا أقترف هؤلاء الأطفال المدفونون في صحراء "ضبي" سوى أن خلقهم الله أكراداً.

وكل هذه الرفاة هي رفاة أولئك الكرد الذي خلقهم الله تعالى أكراداً في هذا العراق (العربي).

بما أن هؤلاء أكراد ، فهم يستحقون القتل والنفي أو أن تمارس ضدهم حملات (الأنفال)

حملات الأنفال التي مورست قبل 1400 عام فيجب أن تكرر على الكرد اليوم .

وتداخل كل هذه العظام التي لا يمكن فصلها مصيبة .. لكن هذا التداخل له مدلول خاص عندي "إذن الجميع في هذه المقابر الجماعية هم أكراد .. هنا لا تفرقنا الأحزاب والعشيرة والقبيلة واللهجة والملبس كلنا في هذه الحفرة أكراد .. ولا نفكر هنا بالأقتتال الداخلي.. وأن يمحو أحدنا الآخر فكل هذه الرفاة الكردية المتداخلة .. هي ضحايا تلك القومية التي لم تستطع عبر التأريخ أن "تتحد" كما أتحدت هنا .

هناك تخيلت اللحظة الأخيرة والنظرة النهائية لهؤلاء الضحايا الى بعضهم .. أنها لحظة الصفح والتسامح عبر تلك العيون المتلامسة فيما بينها ولحظة تقابل الشفاه بقبلة أبدية .. في هذه الحفرة ولحظة توديع الحياة الى الأبد ..

وأن مدى حقد الجلادين واضح بأنهم لم يفرقوا بين الرضيع والشيخ والطفل والرجل والمرأة .. فهذه الرفاة هي رفاة كل الأصناف .

أنظر .. كيف ربّى البعث وحوشاً ؟ وحوشاً لا تميز حتى بين البشر

هنا تذكرت كلام علي حسن المجيد (علي كيمياوي) ...

((نقتلهم جميعاً ... لانترك فيهم أحياءً))

إنها حملات الأبادة الجماعية .. حملات لا تترك حياً .

بين تلك الرفاة كنت أبحث عن قصص اللحظة الأخيرة قبل الوداع ... كنت أبحث وخاطرتي تأخذني الى تخيل آلاف الأشياء .

فأصحاني صديقي العربي بقوله (في كثير من تلك الأماكن التي قتلوا فيها الضحايا ... كثير من الناس سمعوا تشَهدْ الضحايا وتكبيراتهم) .

(ماد) ضابط أمريكي متواجد في السماوة في تلك الأثناء ذهب لرؤية مقبرة (ضبي) الجماعية رأى في يد أحد الضحايا (صرّة) يمسكها بيده بقوة وقد تكون الضحية (عجوزاً) ... وعندما فتح (ماد) الصّره وجد فيها (حبوباً ومشروب دواء) وهنا قال (ماد): "هذا المنظر دليل على أن الضحايا لم يعلموا بأنهم يساقون الى الموت".

تخيل صورة أمرأة كردية في أقصى الجنوب مازالت تحمل دواءها .. إنها الأمل في هذه الحياة .

فالأكراد يحبون الحياة وجمال الوجود .

فهذه الصورة للعجوز الكردية من أجل صحتها تحمل الدواء.

بكينا كثيراً على رفاة ضحايانا آميلن أن نعيدها الى مواطنها الأصلي .

عدد من الساعات في مقابر الحيدرية

والآن عرفنا أن الضحايا اخِذوا مباشرةً الى حفر الموت. لذلك لم يستطع جلاوزة النظام من أخذ كل المستمسكات

من الضحايا. على العكس من سياسة البعث في سجون الموصل و كركوك و ابوغريب حيث كانت الضحية تجرد من كل شيء. وبعض الاشياء يُسلم الى ذوي المعدومين..
لكن ضحايا الأنفال لم يؤخذ منهم شيء سوى الأشياء النفيسة والغالية لذلك تجد في جيوبهم أشياء ... في أيدي ضحايا الحيدرية وجدوا ثلاث ساعات .. وهذه الساعات وجدت على عظام اليد للضحايا .. وهي من أنواع الساعات التي كان اقتناؤها شائعاً بين شباب الكرد حينها من نوعية (الاورينت والستزن).
وكريم تحدث عن كيفية عثوره على تلك الساعات .
وكان يضع الساعات في (صرّة) من القماش ثم يضعها في كيس ... وكريم كان يظن هذه الساعات دليلاً جيداً لمعرفة أصحابها من الضحايا. هناك اخبَرنا كريم وأقرانه أن عدد الضحايا بالآلاف ولا يمكن معرفتهم أبداً بمثل هذه الدلائل. وقلنا له (بأن هناك عوائل لم ينج منها أحد). فهؤلاء لا تنفعهم الأدلة .. فلمن نقدمها؟
حملنا الساعات الى وزارة المرحلين والأنفال وحقوق الانسان ...
وهناك نصحتنا الانسة(أن كلود) بعد أن نظرت الى الساعات .. والتقطت عدة صور.

بأن نحتفظ بمثل هذه الوثائق والمستمسكات كى نضعها في المستقبل في متحف خاص لهذا الغرض .. خارج أو داخل العراق لضحايا كارثة الأنفال كما فعلت إسرائيل لضحايا (هولوكوست) حينها نستطيع أن نقص هذه الأحداث الحقيقية لأحفادنا ونقول لهم (هذه كوارث قتل وإبادة آلاف المواطنين الأبرياء بعيداً عن أي مبدأ أخلاقي وإنساني) وحملنا مع الساعات هويات الأحوال المدنية ومحفظة لنحتفظ بها كوثائق.

كل تلك الأدلة الموجودة بين رفاة الضحايا من ملابس وأغراض هي ثروة وطنية للشعب الكردي. حيث عن طريق هذه الأدلة نستطيع إيصال الكارثة الى كل العالم. والثروة ليست فقط الموارد المالية المستحصلة فحسب .. فكوارث (هولوكوست والأرمن و هيروشيما و ناكازاكى) هي ثروة وطنية لأوطانهم .

مع كل هذا فان هذه الكوارث تقشعر منها الأبدان وهى كارثة في حق الانسانية .

ألبسة الأكراد المتلوفة

على بعد مئات الكيلومترات عن موطن الآباء والأجداد وجدنا ألبسة كردية متمثلة بالسروال والياشماغ والقبعة

الكردية والنطاق الكردي. وألبسة كردية خاصة بالنساء... دفنت هذه الألبسة مع الضحايا تحت تراب الصحراء.

وبقيت هذه الألبسة شواهد حية على تلك الجريمة .

ولتقول لنا نحن كنا آخر أصدقاء الضحايا في رحلتهم .. وكلما كنا ننظر الى هذه الألبسة تأخذنا الدهشة والتعجب. هذا ثوب تلك المرأة الكردية كانت ترتديه أثناء هطول المطر والحالوب في منطقة (طةرميان) ؟ وهذه يجماغ رجل كردي؟ وهذه قبعة كردية؟

وحينما كنا نقلب الملابس كي نصورها .. وجدنا بين تلك الملابس مشط شعر ما تغير شيء .. وكل هذه الألبسة الكثيرة أغلبها كان سليماً كما كان في البداية تحت تراب الصحراء .

وكنا نستطيع أن نأتي بها ونضعها في متحف خاص . فكل هذه الألبسة بقايا أثواب الضحايا (ضحايا كارثة الانفال). حيث فكرنا أكثر من مرة أن هذه الملابس وثائق وشهود على تلك الجريمة ، لكن لا يمكننا أن نترعها عن عظام الضحايا لأن ذلك يتسبب بتداخل عظام الضحايا فيما بينها وهذه عملية عشوائية .

ونحن على أمل أن تأتي لجان خاصة لهذا الغرض لتتعرف على كل ضحية ... وهذا عمل شاق وصعب وحينما كنا

ننظر الى ملابس الـــ(ثيَشمةرطة) . (أقول ثيَشمةرطة) لأن أزلام النظام أعدموهم لكونهم يساعدون البيشمركة الأكراد ولهذا السبب أنفلوا وقتلوا ..

وهنا تذكرت مقولة عمّتي (حَبه) العجوز التي كانت تسكن في مدينة (شورش) وثلاثة من أولادها مؤنفلون أشترت هذه المسكينة ثلاث بدلات من الزي الكردي الجديد ... وأحتفظت بها سنوات على أمل عودة أبنائها ... وكانت تقول "عندما يعودون سيلبسون بدلاتهم الجديدة كي لا يقول عنهم الناس بأنهم غير مرتبين .

وكنت أفكر بأحاديث عوائل المؤنفلين اليومية حينما كانوا يسألونني "هل يعودون .. ؟" وكان الجواب "الله كريم" وفي يوم 2003/4/9 ترك دكتاتور بغداد كرسيه الدموي وسقط ... فآلاف العوائل الكردية المؤنفلة كانت تنتظر عودة ذويها المؤنفلين في يوم 2003/4/10 ... الآن سيعودون ... لا ... بعد قليل سيطرقون الأبواب .... سيعود المؤنفلون ...

وكنت أفكر هل من الشجاعة لو قلت لعمتي (حَبه) "سوف لن يرتدي أحد من أبنائها تلك البدلات ؟" فكنا نقول دوماً إن أبناءنا المؤنفلين حينما يعودون ستكون ملابسهم رثة . لأنها نفس الملابس التي أعتقلوا بها .

وهنا قلت .... لا ننتظر من اليوم أحداً يطرق علينا الباب . فلا ننتظر طرق الأبواب إذن كل هذه الألبسة الممزقة ... هي ملابس الأكراد التالفة في أعماق الصحراء .

وقام الأخ (منصور) أحد أعضاء لجنتنا بالأحتفاظ بقطعة أو قطعتين من لباس الأطفال الأكراد حملها من "ظي" كشهود على الجريمة .

وأحدى قطع الفانلات كانت تصلح لطفل بعمر خمس سنوات ياترى في أول لحظة شراء هذه الفانلة كم كان ذلك الطفل مسروراً ؟ ... وكم غنت والدة الطفل لأبنها حينما ألبسته هذا الثوب الجديد ؟ .... تذكر نفسك حينما كانت أمك تشتري لك ثوباً جديداً ..؟

ياترى ... كم قبلت والدة هذا الطفل أبنها ...؟ وكم مرة ضمته الى صدرها؟ ... وكم كانت تنتظر لحظة لحظة ويوماً بعد يوم كي يكبر طفلها ...؟

وكيف بها أن تعرف أن نهايتها وطفلها هي في الصحراء "ظي"؟ وإن آخر منزل لهما هناك ؟

وكيف بها أن تعرف أن تلك الفانلة ستعود الى كردستان بعد (15) عاماً ... ولتصير تلك الفانلة شاهداً على هول الكارثة التي تعرض لها الشعب الكردي أمام أنظار وعيون العالم أجمع . دون التفوه بكلمة واحدة ... واليوم صارت

تلك الفانلة شاهداً لقصص ضحايا الأنفال .. يقصها على كل من يريد أن يسأل عن جريمة الأنفال .

حزام (پشتێن) البيشمركة

وجدنا في (المزارع) (خان نص) أحزمة القماش الكردي الطويل والعائدة للبيشمركة الكرد...وهذه الأحزمة القماشية تستخدم تحت الشاجور...فكان البيشمركة الكرد

يضعون هذا الحزام القماشي الطويل جداً والعريض تحت مخازن الأطلاقات (الشاجور) ويربطون فوقها أكبر عدد من الشاجور وكان هذا في فترة الثمانينات . وأغلب شباب الكرد خصوصاً في القرى يقلدون البيشمركة في ذلك. ولهذا الحزام القماشي قصص مع البعثيين وجحوش النظام (الجاش) من خونة الأكراد. فهؤلاء أيضاً كانوا يربطون نفس الحزام وعلى غرار البيشمركة .

وكان هؤلاء يحتقرون كل كردي يرتدي نفس الحزام ولكن رفيع وليس عريض . وينظرون نظرة عدائية لكل شاب كردي يرتدي الحزام الرفيع .... أضافة ألى هؤلاء الجحوش فأجهزة نظام البعث في حينها كانت لها نفس النظرة لشباب الكرد ، خصوصاً في ثمانينات القرن المنصرم. فعشرات المرات أهانوا شباب وطلبة الكرد بسبب أرتدائهم لذلك الحزام الرفيع . خصوصاً إذا ربط الحزام فوق القاط الكردي الأبيض ... وكم مرة ضربوهم على هذا الزي . فذات يوم كنت في "جمجمال" وأنا طالب يافع في الصف الثاني المتوسط قام جحوش النظام بضربي لأرتدائي هذا الزي الكردي ، وكنا دائماً نتساءل: كيف يستطيع البيشمركة حمل كل هذه الأعتدة. فالحزام الكردي كان يساعده في ذلك . فالبيشمركة كان يظهر عملاقاً كبيراً بسبب ذلك

إضافة الى أنه كان يحميه من آلام الجسد وحينما وجدنا هذا الحزام القماشي في أحدى المقابر الجماعية أخذني خيالي الى تلك الأيام الخوالي من عهد الثمانينات ... تخيّلت ذلك اليوم الذي شاهدت فيه عبر شاشة التلفزيون العائد للنظام ، شاهدت مئات البيشمركة المعتقلين . وقال مذيع النظام يومها "هؤلاء عادوا الى أحضان الوطن وكل هؤلاء البيشمركة كانوا جالسين بصمت وبزيهم الخاكي والأحزمة التي لم تكن فوقها الأعتدة. فبعض هؤلاء كان ينظر الى الكاميرا, وبعض منهم موطئ الرأس وينظر الى التراب وكأنهم كانوا يفكرون في أيام الحرية. حينما كانوا أحراراً في قرى وجبال كردستان . وكأنهم كانوا يقارنون بين هذا اليوم والبارحة . وفي ذلك اليوم كل من شاهد تلك المشاهد كان يعرف مصير أن هؤلاء هو "الموت" لا محالة. فبعض النساء حينما رأيْنَ تلك المشاهد قلنّ "تمنينا فقد النظر لا أن نرى هؤلاء بمثل هذه الحال" . فهؤلاء كانوا متراصين بأنتظام في طوابير طويلة وعريضة وهم صامتون دون كلام .

وكان المذيع يتكلم بكلام لا طائل منه ، وهؤلاء يفكرون بمصيرهم . وكل هؤلاء تم إعدامهم ولم يرهم أحد سوى تلك المرة من على شاشات التلفاز . لا أدري ... لماذا

تذكرت كل هذه الصور حينما أخرجنا تلك الأحزمة من المقبرة . وكان الحزام طويلاً جداً بحيث قمنا جميعاً بحمله لغرض التصوير ... ولنقول لكم (هذا هو حزام قماش الكرد وصل الى عمق الصحراء) . وحينما كنا نقوم بأخراج كل قطعة من الزي الكردي من تحت أتربة الصحراء ... نحدث عنها أخواننا العرب , وتحدثنا لهم لماذا يجب أن تكون أحزمة القماش الكردية طويلة بهذا الشكل . وحينما كنا نرى كل تلك الملابس الكردية . فلابد للأنسان أن يسأل نفسه سؤالاً وجيهاً: ماذا يربطني أنا بهذا العراق ...؟ هذا العراق الذي منذ تأسيسه والى يومنا مصدر عذاب وظلم وتعسف للقومية الكردية ....

وحينما كنا نرى مواقف أخواننا من العرب الشيعة المظلومين فهنا رأينا من الواجب أن نعمل مقارنة عميقة بين العرب الشيعة المظلومين والعرب السنة . فطيلة بقائنا في الجنوب سمعنا منهم عشرات المرات (لستم وحدكم المظلومين...؟)

صحيح نحن وجدنا كل تلك الرفاة والملابس في صحارى الغربة ... في الشنافية والحيدرية وظبي وسلمان .... لكن لم نكن وحيدين ، هناك سؤال لا يجب أن نغفل عنه ألا وهو "كيف نستطيع أن نعمل على أن لا يتكرر مثل هذه

الصور ولا يبعد الحزام الكردي عن كردستان مئات الكيلومترات الى الصحاري ...؟ كيف يمكن لنا أن نحمي شعبنا من عدم تكرار كوارث الأنفال ثانية ...؟ وهل بقاؤنا مع العرب السنة في ساحة واحدة هو لعب بالنار؟

تحدثنا بصراحة مع أخواننا الشيعة في كثير من المسائل والأمور ، وهم رأوا وعرفوا مصائب وكوارث الشعب الكردي طيلة بقائنا في الجنوب فمرة واحدة سمعت من شاب شيعي يتحدث عكس كل الشيعة، كان هذا الشاب متخلفاً بحيث كان يعتبر كلميتي كردستان والفدرالية كفراً ، وكان يعمل هذا الشاب مع مجموعة من أصدقائه بأصدار صحيفة ، ولا أدري إن كان أقرانه يفكرون بمثل تفكيره أم "لا".

الصور المتبقية مع الشهداء

وجدنا في جيب أحد الضحايا عدة صور.... البعض منها تالف نهائياً ، صورتان يمكن مشاهدتهما وهما تتجهان نحو التلف أيضاً:

الصورة الأولى

صورة طفلة صغيرة تتأمل بعينيها الجميلتين هذه الدنيا ... ولا تتصور أن يجد أحد في يوم من الأيام صورتها في عمق الصحراء . الصورة تقول لنا بأنها بنت أحد الضحايا حملها والدها معه في جيبه مع صور أخرى لتكون أمام عينه دوماً .... نحن لا نعرف هذه البنت الصغيرة أين تعيش ؟ وهل مازالت تعيش ؟ فقدت الحياة ؟ مؤنفلة ؟ ماذا حدث لها ؟ لا نعرف سوى إن هذه الصورة ... صورة طفلة كردية بريئة وجدت في جيب والدها أو أخيها المؤنفل في حدود (زاهر) ونحن نعيد الصورة الى كردستان .

وطيلة تلك الفترة التي كانت معي تلك الصورة نظرت اليها مئات المرات. وكل مرة أنظر إليها لا أرفع نظري عنها حتى تتعب عيناي .

تحت ثرى الصحراء .... وبعد عدة سنوات من بقاء هذه الصورة تحت تراب الصحراء .... فما زالت عينا الفتاة تلمعان وتتلألآن .... فهي تنظر الى كل من ينظر اليها بعمق وأمعان ....

الصورة الثانية

صورة رجل وعلى رأسه الياشماغ الكردي بشدّتهِ المعروفة "جاماني" وأتصور أن له لحية سوداء ، فهذه الصورة تالفة كثيراً ... لكن الياشماغ (الجاماني) ظاهر كما هو .....

وحينما تمعن النظر بدقة في الصورة ، تجزم إنها صورة (مامة ريشة)[1]

وجدنا في جيب أحد ضحايا مقبرة (زاهر) هاتين الصورتين وعدداً من الصور الأخرى الممسوحة تماماً .

ممكن أن تصير هذه الصور والساعات وثائق تقود صدام وزمرته الى محكمة دولية وكذلك محاكمة الدول التي ساعدت (البعث) في إداء جريمة (الجينوسايد) التي تدعو الى محو الشعب الكردي ، وأعتقد أن جراحات وآلام هاتين الصورتين خصوصاً صورة الطفلة آثارها أعمق من مقتل (محمد الدرة) الفلسطيني ، والمصيبة الكبرى .. لم تقم قناة تلفزيونية أو صحيفة أعلامية بالحديث عن مجازر الأنفال حينها وعن صورة هذه الفتاة .... أو أن تنقل لنا مقتل الطالب (محمد رؤوف) الذي أستشهد في مدينة (شورش) أثر أطلاق النار عليه من قبل جلاوزة البعث من فوق تلال (باني مقان).

* * * *

(1) مامة ريشة "البيشمركة الملقب عند الأخوة العرب بالرجل الحديدي" في فترة الثمانينات وله ملاحم وبطولات حينها "المترجم".

وشورش هي مدينة بل هي عبارة عن معسكر كبير بناه جلاوزة النظام لتجميع بقايا عوائل المؤنفلين وتجميع ما تبقى من مواطني القرى والأرياف الكردية المهدومة . حيث تعرض المدنيون الكرد الى حملات (بارق عبدالله) و (على حسن المجيد) والمتهمين الأخرين ...

وبعض هؤلاء المدنيين المعتقلين شملهم العفو في 1988/9/4 وذلك بعد أنتهاء من كل مراحل عمليات الأنفال .

و (محمد رؤوف) طالب عمره (14) سنة يسكن (مجمع شورش) كان يدرس قرب بيتهم ... ولكن في لحظة سقط الكتاب من يده ... بعد أن أصيب بعيارات نارية من قبل جنود البعث .

وتحدثت لنا أخت (محمد) والدموع تملأ عينيها عن حادث مقتل أخيها ... تحدثت لنا عن يوم الحادثة وهي تذرف الدموع ....

ذلك الجندي الذي قتل "محمد" برصاصة كان معروفاً ولم يسأله أحد. والأكراد يعرفون ذلك الجندي حيث قام

بجريمته نتيجة نشوة مستهترة. وليجرب سلاحه بواسطة أطلاق طلقة في جسد المسكين.

و (باني مقان) هي سلسلة من التلال تطل على (مدينة شورش و جمجمال) وكان جنود النظام لهم نقاط عسكرية فوق تلك التلال الى يوم سقوط صدام . وكان الشخص الذي أحتفظ بتلك الصور في منطقة (زاهر) هو الشاهد (صائب حسين جادري) وجد هذه الصور عند (النهر الثالث) المعروف بنهر (القائد) وقال آمل أن تجدوا عوائل الضحايا ... ومن ثم يتسنى لكم معرفة كل ضحايا هذه المقبرة الجماعية التي تقع في منطقة (70) تلة . وأنا أعتقد توجد تحت كل تلة أعداد هائلة من الضحايا ..

((السماوة ، صحف وتلفزيون السماوة، الناس هناك))

في البداية يجب أن نعلم ليست السماوة وحدها هي كل الجنوب في العراق ...

إذن فلماذا نتحدث عن السماوة فقط؟؟

وللأجابة على هذا السؤال نستند الى مجموعة من الأحصائيات داخل المحافظة "حيث توجد داخل المحافظة خمس مقابر جماعية كبيرة .. لحد الآن تم أكتشاف ثلاثة منها فقط .

وأهالي السماوة يجزمون أنه توجد تحت ديارهم مقابر جماعية .. وكذلك في (سلمان) نقصد (قضاء سلمان) المعروف عند الأكراد بـــ(نقرة سلمان) فتوجد هناك خمس مقابر جماعية وفي ناحية "بوسية" توجد حوالي عشر مقابر جماعية للأكراد . وسنتحدث في صفحات الكتاب القادمة عن (بوسية وسلمان) .... وفي الكثير من المناطق التابعة لمحافظة السماوة .. هناك مقابر جماعية مثلاً في (الوركاء) و (المشعل) وفي (شيحية) ومناطق متفرقة أخرى ...

لهذا السبب توقعنا كثيراً عند السماوة ، والسماوة محافظة عراقية سُميت (بالمثنى) والمدينة تبعد عن الحدود السعودية حوالي 350كم فقط ويرتبطون بصلة قرابة مع عوائل حدود السعودية . وعبر مراحل تأريخ الدولة العراقية كانت السماوة عبارة عن

منفى لأولئك السياسيين الأكراد عن كردستان الجنوبية المبعدين قسراً من قبل المركز. وهنا وجدنا منفياً كردياً من مدينة (خانقين) تم نفيه في فترة السبعينات . (والسماويون

كمثل بقية العراقيين يحبون مدينتهم كثيراً) وهم يتباهون بعشائرهم وقبائلهم وعوائلهم وأغلبهم يذكرون ألقابهم في نهاية أسمائهم ، والسماوة كباقي محافظات العراق أصابها الخراب والدمار آبان حكم البعث .

في أكثر من مكان تشم رائحة المدينة العفنة على الرغم من نظافة ونزاهة قاطنيها .

وأهل السماوة لطفاء ومرحون ، وفتيات السماوة مثل باقي محافظات الجنوب جميلات وفارعات الطول, ويقولون "كانت السماوة تحوي على أكثر عدد من اليهود. بين سنوات 1948 ــ 1951 ... أغلب هؤلاء اليهود تم ترحيلهم الى فلسطين ـــــ أسرائيل. وحسب قول الأهالي .... مازال هناك أراضي وبساتين لليهود في المدينة الى هذا اليوم. ويهود السماوة مع باقي يهود العراق ... تم أبعادهم الى أسرائيل في سنة 1948. والطاعنون في السن من السماويين يتحدثون عن علاقتهم الودية مع اليهود حينها .... وهم يقولون (لم يذكر أن حدثت أية مشكلة بيننا وبين اليهود أبداً). وفي السماوة يعز ويقدر الغريب وبشكل عام المدينة ساكنة وهادئة ليلاً ونهاراً بحيث كنا نتجول في شوارعها الى ساعات متأخرة من الليل (10 ــ 11) ليلاً

والسماوة مثل البصرة جوَّها حار .... لكن لياليها منعشة الى حدٍ ما .... تصدر في السماوة صحيفة السماوة . وهي أسبوعية مستقلة ورئيس تحريرها (ناصح خرتوس) وهي صحيفة خبرية نقدية وجيدة من ثمان صفحات متوسطة الحجم وملونة وتطلب الصحيفة من الدوائر والجهات الرسمية المشاركة فيها ....

وإن ما أدهشني في الصحيفة عدم وجود أية مقالة عن المقابر الجماعية على الرغم من أن مصدرها هم مجموعة من شباب المدينة ، هناك أيضاً (تلفزيون السماوة) ومديرها هو المهندس (صبري عبدالخضر) ويدير التلفزيون مجموعة من المصورين والفنيين الجيدين ... وهم يهتمون بمشاكل المدينة من حيث الأعتماد والمشاكل والمعدات .

تلفزيون السماوة يقوم بعرض مشاهد للمقابر الجماعية هذا ما يثير أنتباه الأهالي إليها ومتابعتها . وبشكل عام هناك حركة أعلامية وثقافية تتجه نحو الأحسن .

وتعرفنا على أثنين من هؤلاء وهما:

أ ــ عدنان حسين طاهر (أبو قحطان)

وهو مسؤول أعلام محافظة السماوة ... رجل مثابر وكاتب كذلك ... كان معنا في رحلتنا الى "بوسية" وهو يرغب بمساعدة كل من يبحث عن المقابر الجماعية هناك .

2ــ أمين عاقولي (أمين محمد أميني)
يبلغ الخمسين أو أكثر من العمر ... يعمل مع أبن أخيه مصوراً ... وكان قديماً مصور المحافظة أكثر أهالي المدينة يعرفونه .... وكان معنا بكامرته الفديو .... وهو مصور ومنتاجي ماهر ويعمل في التلفزيون، كان أمين جندياً في جمجمال لعدة سنوات ... وهو يحب الأكراد ....
وعندما كنا في مقبرة (ظبي) الجماعية ... شاهدته يبكي ... وعاقولي أعلمنا عن أشياء كثيرة في السماوة .
في البدء تحدثت عن مدينة السماوة وأهلها ويسعدني هنا أن أقف عند عدة شخصيات أخرى .
1ــ سامي عزادة آل معجون (مسؤول إداري في السماوة) رجل ذو خبرة ، هادئ ، عاش سنوات في السعودية ولندن . عمل ضابطاً ومستشاراً قانونياً لملك السعودية لعدة سنوات ، قدرنا كثيراً ... وكل ما طلبناه منه كان جوابه دوماً (على عيني) ... وهو يعتبر نفسه صديقاً للأكراد وكان متألماً جداً لوجود المقابر الجماعية في حدود مدينته .... وهو أيضاً ذاق المرارة البعثيين ... قال لنا (طول وجودكم هنا فأنتم ضيوفي) وكان يتمنى حصول القوميات المتعايشة في العراق على حقوقهم العادلة. وفيما بعد صار هذا الرجل وزيراً في الحكومة الأنتقالية .

2ــ أبو سارة : مدير ماء ومجاري السماوة في البداية كان يعمل في مجال الصحة ثم صار مدير الهلال الأحمر / فرع السماوة ... وحصل على هذا المنصب بالأقتراع ... وهو رجل خلوق ونزيه، وسيرته مشرفة تأريخياً ... ووعدنا بالمساعدة متى ماشئنا ذلك
3ــ فراس عبدالمحسن: شاب يجيد الأنكليزية يعمل مع كابتن (ماد) في الجيش الأمريكي ، قبلنا زار مقابر الأكراد الجماعية في (ظبي) كان يكره البعثيين كثيراً ... شاب وسيم وحذر من أول نظرة تستلطفه ... وكان متحمساً جداً أن تنشأ محكمة لمحاكمة مجرمي الحرب وتكون المحكمة دولية .... والمحاكمة علنية ومكشوفة ، وعمل في الهلال الأحمر / فرع السماوة ، وكان يقدم المساعدة للمنظمات الأجنبية التي تساعدهم في المنطقة .
وبشكل عام أهل السماوة متفتحون ... ظرفاء ولطفاء ... يسمعون و يستمعون وهناك تحس أنك في مدينتك فلا تشعر بالغربة أبداً سوى حر السماوة .

سراويل أهالي السماوة كردية

في مدينة السماوة جذب أنتباهي تلك السراويل التي كان يرتديها العمال هناك ، ويطلقون عليها (سروال) هي نفس الشروال الكردي مع شيء من التغيير .... وعندما سألنا عن تأريخها ... قالوا .... هذه من بقايا الجاليات اليهودية .

ونريد أن نقول هنا قبل أن يصل الزي الكردي الى السماوة وسلمان وعادن ... وقبل أن يدفن الكردي في المقابر الجماعية ... كان يوجد في هذه المدينة زي يشبه الزي الكردي .... وصحيح أننا بكينا كثيراً على ضحايانا ولكن كنا حينما نرى ذلك اللباس في الأسواق والمطاعم فذلك كان يفرحنا ...

ومن المعلوم للجميع أن الزي الكردي ممنوع الأرتداء في تركيا آنذاك ... وكذلك في العراق لكن بشكل آخر وبسياسة أخرى ... وهي بمنع أرتدائه في الجامعة والمدرسة والدوائر الحكومية . ولقد عملت القنوات الأعلامية خصوصاً (التلفزيون) بأعطاء صورة غير لائقة لهذا الزيّ .... مما أدى أن لا يرتدي الكردي هذا اللباس إلا في المناسبات والأفراح .

وأرى أن البعث لعبَ دوراً هاماً بالاستهزاء بهذا الزيّ أمام أنظار الأكراد أنفسهم والعالم على العكس من الزيّ العربي

المعروف الذي يلبسه الملوك والرؤساء والوزراء في كل مكان وهم يفخرون به.

عشيرة آل زياد

توجد في السماوة عِدة عشائر منها "آل زياد ، آل عبس ، آل فليج ، آل جشحم ، آل عاجم ، آل معجون ، وأبن حجيم .....أخ"

وآل زياد واحدة من تلك العشائر الموجودة في السماوة وسلمان وملحة وتوجد في كل قرية من قرى آل زياد "مضيف خاص وأهم ما تفخر به هذه القبيلة هو إعالتهم لـــ "تيمور" ... رغم أن عدداً منهم قامو بأيواء "تيمور" إلا أن كل العشيرة تتباهى بهذا العمل .

وحينما جلسنا في مضيف إحدى قرى هذه العشيرة وتسمى "آل عشيم" بدا لنا هذا بوضوح. يجب أن لا ننسى أن لهذه العشيرة خلافات مع عشائر أخرى ... وهذه الخلافات موجودة في كافة عشائر العراق ...

وأغلب أعضاء العشيرة يشتغلون بالرعي وتربية الأغنام والتهريب (القجخجية) والسلك الشرطة ، والمهربون بين السعودية والعراق وأيسر حالاً من البقية.

وفي العشيرة يوجد متعلمون ومسؤولون منهم (فارس الزيادي) هو مساعد المحافظ للشؤون الفنية . وهذا الرجل طلب من أبناء عشيرته أن يقدموا لنا العون...

وأهم خصائص هذه العشيرة معرفته المتميزة بالصحراء وشعابها ... وعدم أختلاط نسائهم مع الغرباء . فحتى في الصحراء كانت هناك خيام خاصة للنساء ... ونحن لاحظنا هذا في الصحراء حيث كان الرجل يتواجد في خيمة ، والمرأة في خيمة أخرى ....

وفي سوق السماوة ألتقينا صدفة بأحد الشيوخ عرفنا الصديق (منيف كامل الزيادي) به ورحب الشيخ بنا بحرارة وطلب تضيفنا وهناك عاتب منيف كثيراً لأنه لم يأخذنا اليه لغرض إداء واجب الضيافة .

وهذا الكرم موجود في أغلب عشائر الجنوب فهم يكرمون الضيف كثيراً .

وكان آل زياد يفتخرون بأيوائهم (تيمور) وهذا يعود الى شجاعتهم وجرائتهم وعدم خوفهم من أزلام النظام حينها. في الوقت الذي كان الأخرون يسلمون الأبرياء لأزلام النظام .

وبشكل عام ... عشيرة آل زياد صغاراً وكباراً يحبون الضيوف ويكرمونهم ... وكذلك فيهم من لا يؤدي لك

خدمة إلا بمقابل. وفيهم من يساعدك ويريد أن يقدم لك الدعم المالي مثل "منيف كامل" وبالرغم من تعاونهم معنا كان يريد أن يقدم لنا دعماً مادياً .

ومن أمثال منيف كذلك مثلاً (مالك خليفة) حيث جاء الى كركوك ليعطينا عدداً من هويات الأحوال المدنية وأغراضاً أخرى وهناك كان يريد أن يقدم لنا المساعدة ومالك هذا كان طالباً في السادس الأبتدائي أثناء عمليات الأنفال ... وكما يقول هو حيث رأى أغلب الأكراد الذين دفنوا في الحفر (شكلا مالك كبير السن) ويتواصل بقوله: ومن ثم كنت أرى تلك السيارات العائدة والمحملة بالجنود حينذاك عرفت بأن هؤلاء الأكراد ذهبوا بهم الى الموت" ولدى أغلب رجال الصحراء مثل هذه الحكايات والقصص ونحن ندونها بدقة كي تبقى في الذاكرة ولا تنسى أبداً.

ويجب على الأكراد جميعاً أن يقدروا مواقف عشيرة "آل زياد" وذلك بسبب حفظهم وحمايتهم لتيمور ... وبعملهم هذا أنقذوا من الموت أهم شاهد على عمليات الأنفال .

العائلة الثانية لتيمور عبدالله

قبل الخوض في قصة "تيمور" أرى من الواجب التحدث عن العائلة الثانية لتيمور .

تلك العائلة التي أحتضنت الطفل وصاروا له أهلاً. حينذاك كان عمر (تيمور) (5ــ 6) وكانت السنة 1988 .. في أحدى الليالي من تلك السنة وفي أعماق الصحراء وعن طريق المعجزة نجا (تيمور) من موت مؤكد حينما دفنوا كل تلك العوائل بعد رميهم في الصحراء (ظي)

تقع صحراء (ظي) جنوب غربي السلمان . وعلى بعد 70كم عن السلمان ... ومن طريق آخر يبعد حوالي 160كم عن السماوة .

تقع في عمق الصحراء على بعد عدة كيلومترات عن الطريق المبلط ... يمكن أن نسميها طريق الموت وسيارات الموت تعبر من ذلك الطريق .

ويذكر لنا أحد الشهود وهو (عبدالوالي) أنه رأى (12) سيارة كبيرة وعشر سيارات صغيرة وكانت السيارات الكبيرة من نوع (إيفا) وسيارات الحمل العسكرية

والسيارات الأخرى هي (لاندكروزات) وعائلة (عبدالوالي) مع (5) عوائل أخرى من آل زياد لم يكونوا بعيدين عن مكان الحادث .

وكانت تلك العوائل تقطن الخيام هناك ... عندما رأوا السيارات والشفلات تعبر من هناك وعلى بعد 25كم وبعد الساعة 3 بعد الظهر سمعوا أصوات أطلاقات ... ولا أحد فيهم يعرف سبب الأطلاقات والرمي؟ ولماذا؟

وهم لم يريدوا أن يعرفوا السبب .. ففي ظل البعث وأثناء عهد صدام لم يحاول أحد معرفة أسرار البعث وأعماله لأنها معروفة.

كما قلنا بدأ الرمي عند الساعة (3) بعد الظهر

وتيمور يبلغ مساكن تلك العوائل عند الساعة 12 ليلاً أي بعد 9 ساعات من الرمي. على الرغم من بعد المخيمات عن أماكن الرمي والأعدام 3 كيلومترات أو أقل . وتيمور جريح بطلقة في صدره وكذلك جرح آخر في ظهره بسبب (كيلة الشفل) وفي ظلام الليل يصل الطفل قرب خيمة وينادي ليسمعوا ، لنترك (غانم محمد الزيادي) يحدثنا عن ذلك حيث يقول (حينما سمعنا عواء الكلاب خرجنا من البيت وأتجهنا صوب العوي ... عندها سمعت صوتاً ينادي (داية) ينادي ويبكي ...

وعندما توجهنا أليه . وجدنا طفلاً . أخرج خمسة دنانير من جيبه ... وقال (دكتور) .

نحن فهمنا كلمة (دكتور) ، وعندما أدخلناه الى الخيمة رأينا تغير لونه إذ سال منه دم كثير ..

والمشكلة لا توجد بيننا لغة تفاهم ... ولكني ألتقطت كلمة (كلار، منه.

حينها عرفت بأنه (كردي) ومن (كلار)

فقلت له (هنا ليس كلار بل سماوة)

فقمنا بتنظيفه من الدم وأطعمناه ثم عاهدنا (الله) على أن نربي هذا الطفل لوجه لله ونحافظ عليه حيث أجتمع كل رجال تلك الخيام الخمسة لمعالجة هذه القضية .

وكنا نعلم لو أن الحكومة عرفت بهذا الخبر ستقلعنا من الأعماق والجذور وأخيراً أتفقنا على أن نربي هذا الطفل ونحتفظ به (وليصير خلي يصير) فلم ننم تلك الليلة حتى الرابعة صباحاً حيث أخذ (عبدالهيثم) الطفل وأبعده عشرات الكيلومترات عن مكان الحادث به الى "العيشم".

في تلك القرية عملوا على تربيته ويقول "في الحقيقة هو إبن كل قرية وهناك أسميناه (علي عبدالله) أو علي عبد ، أشترينا له دشداشة وكل ماهو ضروري وداوويناه الى أن شفي ، وتعلم اللغة العربية سريعاً بحيث كل من يسمعه

يجزم بأنه عربي ، ويقول (حجي عبد) في ذلك اليوم أعطيتُ محمد إبني (50) ديناراً كي يشتري له حوائجه ... والأن لنذهب الى تلك العجوز التي أحتضنت تيمور وربته كأحد أبنائها .

عند زيارتنا الى هناك كانت هي مريضة ولم نستطع رؤيتها ، لكن رجال القرية يقولون عنها (إنها كانت تحب تيمور) كثيراً بحيث لو سمعت الآن بأسمه لغرقت البكاء عليه .... وأطفال القرية التي تربى فيها تيمور كانوا ينظرون الينا بأمعان ودقة ، لذلك ألتقطنا لهم عدة صور .

هؤلاء لا يدركون بأن آلاف الأكراد مدفونون تحت رمال الصحراء وفي الأعماق وما أدهشنا أن جميع أهل القرية كانوا يفتخرون لأيوائهم تيمور وكل منهم يتحدث عن بطولاته. الكل يفتخر بذلك وليس (6ـ 7) عوائل فقط وهنا من الضروري التحدث عن (عبد والي أو الحجي عبد) ، هو من مواليد سنة 1907 ، رجل قوي وسليم البنية رغم تدخينه ... لايعرف طعماً للراحة ... وهو خبير في الصحراء وطرقها وشعابها ، ودون أن يخطئ يأخذنا الى المكان الذي نريده والعائلة الثانية لتيمور وكل أهالي السماوة يعتبرون نجاة تيمور بمثابة المعجزة . نجاة طفل بعمر (5ـ 6) سنوات وبتلك الجراح وفي الصحراء حيث أنه لو لم يُمت عطشاً .. لأكلته الذئاب ، ولكن عاش ليكون شاهداً حياً على الجريمة وبقي تيمور في أحضان عائلته الثانية أكثر من 6 سنوات ... ثم عاد ليعيش الى الأبد مع عائلته الأصلية .

عائلة تيمور وأقرباؤه

في "ظبي" دفنت عائلة تيمور وأغلب أقربائه ، هناك وجدنا عدة حفر . عدد الحفر التي زرناها نحن كانت ثلاث الى أربع وكل واحدة على شكل مقبرة كبيرة طولها عشرة أمتار وعرضها 2 ــ 3 أمتار محفورة بواسطة الشفلات ، والمساحة الأجمالية لتلك المقابر حسب ظني تتراوح طولها بين 44 ــ 57 أمتار وعرضها 30 ــ 47 أمتار .

في تلك المقبرة وذلك المكان تم دفن أثنتين من أخوات تيمور ووالدته وجدته من أبيه ... مع كثير من أقربائه مدفونون هناك في مقابر جماعية ...

المكان الذي دفن فيه هؤلاء بعد رميهم هو مكان قحط وأرض جرداء لا ينبت فيها أي نوع من النبات ... سوى نوع من نبات العاقول الذي أعتقده لا يحتاج أبداً الى ماء . ولو سرتَ لفترة طويلة هناك لا تجد أثراً للماء ، وكل شخص يترك هناك ، بعد عدة ساعات سيموت من العطش .

يوجد في ذلك المكان نوع من الزواحف يشبه السحالي وهي تغير لونها بتغيير الصحراء وهذه الزاحفة سريعة جداً بحيث تختفي عن الأنظار بسرعة فائقة , والعرب في الصحراء يأكلونها والزاحفة حينما تعتقد بأنها ستقع في قفص الصياد ... تستلقي على ظهرها وتقوم بوضع يديها على رقبتها خوف الذبح .

وفي الصحراء ذئاب قوية نادراً ما يفوتها صيدها وعلى العموم: هذه صورة سريعة لذلك المكان الذي دفنت فيه عائلة تيمور وأهالي منطقة (طةرميان)

هؤلاء لم يسمعوا ولم يتخيلوا ولم يفكروا ولم يسمعوا بهذا المكان يوماً ... وهذا المكان لم نسمع نحن به أيضاً فهو لا يوجد على الخريطة ... هنالك دفن الضحايا الذين جاءوا بهم في تلك السيارات التي ذكرناها مسبقاً ... وجاءوا بهم الى هذه الحفر وصفوهم حولها ورموهم بالرصاص .

وهؤلاء مثل ضحايا (الحيدرية) كان مكان الرصاصة أو الطلقة في الرأس ، فالجلادون كانوا يوجهون الرصاصة في الرأس والصدر وبعد أتمام عمليات الرمي يقومون بدفن الجرحى والموتى بملابسهم داخل تلك الشقوق والحفر يدفنون مع كل حوائجهم التي لم يستطع الأزلام من أخذها.

هؤلاء تم رميهم في نفس اليوم الذي وصلوا فيه الى عمق

الصحراء ، لأن أحدى الضحايا وقد تكون جدّة تيمور كانت تحمل في يدها كيس الدواء ... وقمنا نحن بالأتيان ببعض الألبسة وملاعق حليب الأطفال التي جمعها الأخ منصور وأنا متأكد بأن ضحايا "ظبي" أغلبهم يحملون في جيوبهم هويات الأحوال المدنية وصوراً وأشياء أخرى لأن الصداميين لم يخبروهم عن مكان الذهاب وأن إعدام هؤلاء تم بلجنة سريعة التنفيذ ، دون أن تقوم بجمع أشياء وأغراض الضحايا .....

والدليل على صدق قولي أننا نجد مع الضحايا صوراً وهويات وأدوية ... وأغلب عمليات الأعدام ... هنا وهناك نفذت على وجه السرعة .. حسب كتاب (سري وعاجل) أو (سري وفوري).

لذلك في جميع الأماكن تجد أغراض ومتعلقات الضحايا ... ولا تجد في مقبرة (ظبي) الجماعية سوى رفاة الاطفال والنساء منهم عائلة تيمور ولا وجود لرفاة رجال وأعتقد أن الشباب والرجال دفنوا في مناطق أخرى مازالت مجهولة ، وحسب أقوال تيمور للصحفي (كنعان مكية) وحسب أقوال الشهود الذين شاهدوا سيارات الجلادين ... فإن الذين نفذوا هذه العملية هم من عناصر الأمن والأستخبارات ... وإذا كان معهم أفراد من الجيش فهؤلاء

تواجدوا للحماية فقط ... أو في الأصل هؤلاء من الأستخبارات العسكرية التي نفذت تلك العمليات الأجرامية .

ومما يؤكد صدق أقوالنا إن أغلب وثائق عمليات الأنفال تم العثور عليها في المخابرات العسكرية وعلى الرغم من قلة الوثائق التي نستند عليها يجب أن لا ننسى إن الجحافل الخفيفة "الجحوش" كان لهم دور بارز في مساعدة البعث للقبض على الضحايا وتسليمهم ....

وسنتحدث عن أحد أولئك الجحوش الذي شاهد بأم عينيه عذابات المؤنفلين ألا وهو (قاسم آغا) من كوية الذي قام بنقل المؤنفلين بين كوية ووادي باليسان فسلم المؤنفلين كهدية للمبعثيين ليحصل على نوط شجاعة .

وهذا نفس عمل المستشارين (الجحوش) الآخرين في المنطقة، دون أن يفكر هؤلاء الجحوش أن يتعرضوا الى لعنة التأريخ في يوم من الأيام لكن هؤلاء الجحوش لم يشاركوا في عمليات الرمي والأعدام ، فعملهم لم يخرج عن إطار تواجدهم .

قصة تيمور

تيمور عبدالله من أهالي بلدة (كولة جو) التابعة لمدينة كلار .. في كوارث عمليات الأنفال كان مع العوائل التي تم نفيها الى أعماق الصحراء في الجنوب.

تيمور كان عمره حينها يتراوح بين (5ـ 6) سنوات لا أكثر ... تم نقل تيمور الى الموت على بعد مئات الكيلومترات عن أرض آبائه وأجداده مع أثنين من أخواته ووالدته .

وقد تحدث تيمور عن رحلة الموت هذه . للكاتب (كنعان مكية) حيث تحدث عن كيفية الرمي وقيام الشفلات بدفن الضحايا بالتراب . وكيف يخرج تيمور بجراحاته من الحفرة ... وكيف يرشده أحد سواق الشفلات إلى الطريق في الصحراء وحسب أعتقادي تمت عمليات الرمي في وقت العصر وتحت عمليات الردم بواسطة الشفلات قرابة المغرب وتيمور ينجو في الليل ولا يهمنا هنا الوقت بالساعات إنما يهمنا نجاة تيمور وفي تلك العمليات تم قتل مئات بل ألوف

أطفال ودفنوا في الصحراء. لكن تيمور الوحيد الذي نجا فيهم ويروي تيمور:

حينما وقفت في حفرة .. شاهدت فتاة صغيرة على قيد الحياة .. طلبت منها أن تهرب سوياً لكن الفتاة كانت خائفة ولم تستطع كانت أصغر مني

وأحداث وقائع قتل البعثيين والصداميين للأطفال الكرد ليست واقعة تيمور وعائلته فقط بل في وادي باليسان وبادينان وحلبجة وأماكن كثيرة متفرقة أخرى ... فعل البعث بالكرد ماشاء ..

وتوجد في عمليات الأنفال أطفال رضع لم تتجاوز أعمارهم سنة واحدة .

ونذكر لكم هنا أحداث قصة تيمور لتعرفوا كيف صار (سماوياً) من السماوة بعدما كان من مدينة (كولة جو) ؟ وكيف صار عربياً بعد أن كان كردياً ! وكيف صار شيعياً بعد أن كان سنياً ؟ وكيف بقي حياً ليكون شاهداً على الجريمة ؟ وكيف ذهب الى أمريكا خوفاً من القتل والأغتيال ؟

أعتقد بأن عدم توثيق قصة تيمور أو كتابتها على شكل فلم سينمائي يعود القصور والأهمال فيها الى تيمور نفسه ، وذلك لأن تيمور لم يعد الى كردستان ولو مرة واحدة بعد

ذهابه الى أمريكا ... وكان يستطيع التعاقد مع عدة مؤسسات لأخراج فلم من هذا القبيل .

واليوم وبعد أن وجدنا تلك المقابر الجماعية التي دفنت فيها عائلة (تيمور) والأخرين .

فصحة كلمات تيمور صارت وثيقة للعالم أجمع وتوجد في تلك المنطقة عدة قبور جماعية أخرى إضافة الى تلك المقبرة . ولكل منها قصتها وأحداثها .

وقبيلة (آل زياد) حينما يتحدثون عن تيمور يتعجبون لذلك بسبب طفولة تيمور . كيف أستطاع أن ينجوا من قبضة أزلام النظام ويصل الى المناطق المحررة في كردستان ؟ إنه لم ينطق ولو بكلمة واحدة عن تلك العائلة التي أقامت على تربيته وصار إبناً لها ....

واليوم ورغم تواجده في أمريكا إلا أن له علاقات صداقة مع شباب تلك القبيلة .

وتيمور أدرك لو أن جلاوزة النظام حينما عرفت بقصته وحماية تلك القبيلة له ... لأصبح مصير تلك القبيلة كمصير عائلة تيمور والكثير من الشيوخ والعجائز عادوا من معتقلات (نقرة سلمان) والسجون الأخرى . ليحدثونا عن قصص الأنفال إلا أن أحداً من أولئك لم يهرب من حفرة الموت كما نجا أو هرب تيمور .. وهذه المفارقة بين قصة

أولائك وقصة تيمور والكارثة الكبرى في رأيي أن الأكراد أنفسهم لم يعطوا قضية نجاة (تيمور) أهمية خاصة ولا تيمور يهتم بقضيته التي هي في الأصل قضية كل الكرد يصير كل هذا المكتوب والمنقول وثائق حية على الجريمة ، فتيمور يخاف على نفسه وحياته .

فكل فلم أو لقاء مع تيمور ثروة وطنية لقضيتنا لها أهميتها الخاصة .

فظلم الحزب الحاكم (البعث) وقصص (المقابر الجماعية) وقصف عشرات المناطق في كردستان بأسلحة كيمياوية وبيع بنات ونساء الكرد في عهد النظام دلائل حية على ظلم البعثيين للكرد .

لا وجه مقارنة بما قام به (هتلر) مقارنة بظلم (الكرد) ، فهتلر وظلمه لا يصل الى درجة واحدة في ظلم البعث مع ذلك فقضية الأنفال قضية معتمة لا يدركها إلا قليل .

وكذلك قصة تيمور لم تنل حجمها الحقيقي في العالم ، ولا نجد في المكتبات العالمية أربعة كتب عن جريمة الأنفال .

والعجيب أن الطفل الكردي تعلم منذ الصغر من هو عباس بن فرناس ؟ ومن هو القعقاع..؟ ومن هو هارون الرشيد ؟ ولكنه لايعرف شخصياته الكردية مثل الشيخ سعيد بيران ، فالكارثة ليست في أيصال وقائع قصة تيمور الى كل بيت

بل الكارثة والمصيبة الكبرى أن لا تعرف من هو تيمور؟ وماهي المقابر الجماعية ؟ وهل قصة نجاة تيمور من المقابر الجماعية حقيقية أم لا ؟

في أغلب الأحيان يتم الحديث عن أهمال الكرد لأغلب قضايا المصيرية . وآلامه .

ولحد هذا اليوم لم نستطع أن نضع اليد على أسباب هذا الأهمال .

أنا لا أعتقد أن العالم قرية صغيرة ، فلو كانت كذلك لكان من الواجب أن يعرف كل الدنيا من هم (الكورد) وماهي الأنفال ؟ وماهي حلبجة ؟ وما تلك المقابر الجماعية التي دفن فيها الكورد بهندامهم ولباسهم ؟ والعالم ليس قرية صغيرة كما يدعون بل هي فوضى وبدون معنى كما يشاهدها . فنحن نصرخ بملأ أفواهنا وهناك من يقول لنا من أنتم ؟ وماذا تريدون ؟ وهل أنتم موجودون أصلاً ؟ هذا ما يجعلنا نشك في أنسانيتنا ؟ فلماذا هذا الأهمال للأنسان ؟ ففي القرية الصغيرة يجب أن لايخفى شيء ؟ فنحن الكورد متواجدون قبل آلاف السنين على هذه الأرض ... وعددنا يتجاوز (5) ملايين إنسان كوردي في العراق (عدا الدول الأخرى).

ولكنا ضائعون ، ضائعون بذلك المعنى أي يجب أن يجدوا رفاتنا وأشلاءنا تحت أقدام غيرنا في المقابر الجماعية ، ودوماً نحن الضحايا وفي أفضل حالاتنا كنا مواطنين من الدرجة الثانية فإذا كان التعايش من أجمل سمات العصر الحديث فنحن نخاف كثيراً جداً من هذا التعايش .

الصحراء تبلع الجميع

في الصحراء تشعر بالخوف والضيق والأختناق وإذا لم تكن خائفاً من قبور الأكراد الجماعية . فالصحراء لوحدها تخيفك .. وفي كل مكان تقف فيه هناك تشعر بأنه وسط ومركز الصحراء . ويراودك أحساس أنك في بئر ... في الصحراء وفي كل الأتجاهات لاترى سوى السماء . وأينما تقف هناك تشعر بأنك صغير جداً . وكنا نرى أنفسنا أصغر من نقطة قلم . وكنا نشك في وجودنا في بعض الأحيان وفي بعض الأحيان، كنت أبتعد عن أصحابي لأتعرف على مساحة الصحراء فحينها كنت على أعتقاد بأن الصحراء لها القدرة والقابلية على أبتلاع كل البشر ولا تمتلئ .. هذا كان يذكرني بجهنم وجهنم حسب الآيات القرآنية تقول (هل من مزيد) فعندها عرفت لماذا أختار صدام الصحراء ليدفن فيها كل ضحاياه خصوصاً الكرد .

وهناك شعرت بأنه لامعنى لهذه الحياة لأن الصحراء تفقد هذه المعاني فحينما تقول مثلاً (رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة) كنت أدرك هناك لو قطعنا ألف ميل فمازلنا في نقطة الصفر .

لأن الطبيعة هناك على مدى نظر الأنسان هي صحراء في صحراء .

وهذا ما قاله لنا الحاج (عبدالوالي) فعندما دخلنا الطريق الترابي في الصحراء أشعل سيكارة وقال: (الآن أصمتوا عن الكلام) وأحد الجالسين في السيارة اللاندكروز قال: (لماذا أصمت)؟ فأجابه (لأن الصحراء خداعة وممكن أن تخدعنا).

هذا ما تسمعونه بأنفسكم فخبراء وأختصاصيو الصحراء يخافون من الصحراء أن تخدعهم .

وأكثر من مرة حاولت الصحراء خداعنا ، فذات مرة قطعنا أكثر من 50 كم في الصحراء بعدها عرف الدليل بأن الطريق غير طريقنا ، وثلاث مرات أستسلمت سيارتنا لقوة وعظمة الصحراء وكلما تواجدت فترة أطول في الصحراء تحس دوماً أنك في مصارعة الموت .

وفي الصحراء راحة ولا تفكير ولا تستطيع هناك التوقف والتأمل فيجب عليك السير دوماً .

وفي الصحراء لا يمكنك أن تتخذ قراراً . وصعوبة الصحراء أثبتت لي لماذا قاطنو الصحراء لا يسمعون اليك سوى قليلاً؟ ولماذا سكان الصحراء حينما يغضبون لا يهدئون ببساطة وسهولة ؟ وهذا الشيء أنطبق علينا ... هناك شعرت بأن القلب يدق بسرعة ... كما أحسست أن كل

واحد فينا يرى رأيه صواباً فقط ولا يقبل الرأي الأخر. هناك كنا جميعاً نصب جام غضبنا على الآخر. وهذا عكس الرأي القائل (عند الضيق والخوف يقترب الناس من بعضهم البعض).

ونحن على عكس (بالوكيلو) لم نكن نبحث عن البقاء في الصحراء .. بل كنا نبحث عن رفاة وجثث ضحايانا .

وكم من مرة قلنا بأننا سنصبح نحن أيضاً ضحايا الصحراء . وحتى الضحكة في الصحراء خداعة .

وأنت في الصحراء تصبح مخادعاً . فمثلاً حينما كان يقل الماء الذي نحمله فكل واحد فينا يريد أن يشرب كل ماء الجعبة ولا يفكر في صاحبه وعندما يقل الماء تشعر دوماً بالعطش . وتشرب الكثير من الماء وكأنك تريد أن تعيش فترة أطول .

وفي بعض الأحيان تسأل نفسك . لماذا هذه السعرة في شرب الماء ؟ ولماذا هذا الشرب الكثير للماء ؟ في وقت الذي يجب أن نكون جميعاً مع بعض في الموت والحياة .

روى لي أحد أصحابي قصة غريبة قال (قبل أن نأتي الى الصحراء حملت معي ثلاثة أرغفة خبز دون علم أصحابي وذلك لأعيش أكثر منهم) في الصحراء وصلت الى تلك القناعة بأن عملي هذا غير مفيد ؟

قتل الأكراد ودفنهم هناك له علاقة بجميع الحالات التي ذكرتها ..

فمثلاً خارج الصحراء إذا أردت أن تقتل شخصاً فمن الممكن التراجع في هذا القرار ... فمثلاً لو كنت في سهل وأردت قتل شخص فعند سماعك لصوت غزالة أو تغريد طير قد تتراجع عن قرارك . أو كنت في الجبل وتريد أن تقوم بنفس الفعلة ، فمن الممكن تراجعك إذا رأيت وردة جميلة أو طلت عليك نسمة هواء عذبة . أو شاهدت صفوة ماء أو صوت ورقة شجرة . فهناك أشياء كثيرة تهدي الأنسان .

أما في الصحراء فلا وجود لشيء يثنيك عن قرار القتل . ولا وجود لشيء يوقظ الوجدان ويسألك (أين ضميرك) وفي الصحراء ما تقرره يجب أن تنفذه . وهذا ما أدركه البعث جيداً. كذلك أمروا بأعدام الضحايا هناك .

والآن عرفتم لو أن أحد الضحايا أستنجد سواء كانت امرأة أو طفلاً أو شيخاً أستنجد بهم ليتركوه ماتركوه ولو فالصحراء ستقتله وبهذه الأسطر لا أستطيع وصف الصحراء وغضبها . لذلك أرى من الضروري أن تسافر الى الصحراء هناك لتتأكد من أننا لم نستطع وصف الصحراء في هذه الوريقات .

ويمكن لك أن ترجع عشرات المرات الى الصحراء خصوصاً بعد أن تلاحمت عظامنا ورفاتنا ودمائنا مع رمال الصحراء .

ومع كل غضب وجبروت الصحراء لا يحق لنا معاداة الصحراء لأنها حفظت لنا رفاة شهدائنا على العكس من البعثيين الذين أرادوا أخفاء تلك الرفاة .

الوجه الأخر للصحراء

فيما سبق تحدثنا كثيراً عن بعض الجوانب الظاهرية والشكلية للصحراء . وهنا نتوقف كي نتحدث بأختصار عن الوجه الداخلي أو أعماق الصحراء . قلب الصحراء ، دموع الصحراء .

حتى البحار على الرغم من جمالها وطبيعتها الخلابة وهدوئها . فتراها أحياناً تغضب وتثور من الداخل . ولكن هل الصحراء على نمط البحر ؟ وأحياناً نتحدث عن جهنم فلو نظرنا اليها نظرة شاعرية فحينما تبحث في جهنم عن الأختلاقات والغيبيات يمكنك أن تجد حتى في جهنم جماليات .

ولكن عندما نتحدث عنها دوماً نتذكر ونفكر في غضبها وحسيسها وكل ماهو قبيح . هكذا نتخيل جهنم ؟ فكلما تذكرناها نتذكر الخوف والهول والعطش والكوارث ..

وكذلك حينما نتذكر الصحراء نتخيل كل ما قلناه عن آنفاً ولكن لو نظرنا الى الصحراء نظرة عطف ورحمة وتشاهد الصحراء كأنها عجوز عمرها آلاف السنوات ...

فكل أعضاء الجسد الصحراء إذا تصورناها كجسد .. فحصى الجسد هرم .

وجلودها منشقة ، وتتخيلها كأنها متعبة وتبحث عن لحظة راحة .

فالصحراء تشبه ذلك الشيخ الكردي الطاعن في السن الذي تم أعدام أبنائه أمام عينه . ومن ثم ترك هو ليموت في الصحراء . في ذلك المكان الخالي والقاحل . ولا تحتوي قطرة ماء أو عشب.

فواجب الصحراء التخلص من هذا الشيخ .

وحينما تتمعن في الصحراء بدقة ، تحس أن الصحراء تبكي على نفسها بغزارة ولكن دون نزول دمعة واحدة ، في اللحظة الأولى حينما تشاهد الصحراء وكأنها منبوذة، عند ذاك تترحم عليها .

فنحن نتعاطف مع الصحراء فتعاطفنا مع تلك الفتاة الصغيرة التي وردت في مكان من هذه الدنيا وهي تنتظر لحظة ليرجموها بالحجارة .

والفرق الوحيد بين الصحراء وتلك الفتاة ...

الصحراء لاتموت ولا تظل منبوذة، لكن تلك الصغيرة تموت وتقر عينها ولا تشعر بتلك الأحجار التي تضرب بها وقد

توصلت الى تلك القناعة بما أن للصحراء قلباً فلا يؤمن وجود الجمال فيها .

كنت أحياناً أحاور الصحراء مع نفسي حيث كنت أسمعها تقول لي ما في أعماقها وترجوا منا أن نعمل على إعادة تلك الرفاة المدفونة في أعماقها الى موطنها الأصلي وكنت أقول لها أن هذه الرفاة ضيوف عندك هذه الأيام

وتقول لي (أنت لا تعلم كم يؤلمني وجودهم بهذا الشكل في أحشائي وأعماقي) وتعجبت من هذا الجواب حينما قال: (يستطيع الأنسان أن يعطي الصحراء شيئاً من الجمال!!)

حيث كان يقول: (فبدلاً من قتل وتعذيب الأكراد وأعدامهم من قبل صدام وزمرته . ماذا كان يجري لو عمروا الصحراء وزرعوها)؟؟

فطول فترة تواجدي في قضاء (سلمان) لم أشاهد شجرة عالية وقد أتصور أن لا تنمو فيها الأشجار ويثير الأستغراب أن نعلم بأنه ليس هناك ترابط أو معاهدة بين الصحراء والبعثيين لذلك لايجب علينا أن ننظر الى الصحراء كنظرة البعثيين .

فالصحراء تكاد تذوب وتحترق من الداخل على كل تلك المظالم التي ألحقت بالشعب الكردي وكل عربي يدركها ، من مقابر جماعية وغيرها من ظلم البعثيين الكرد .

ومن فضل الصحراء علينا بعد حفظ رفاة أبنائنا في داخلها هو حفظها لتيمور فكل من يعرف بالصحراء لا يتصور أن يبقى طفل في مثل هذا العمر في الصحراء حياً .

خصوصاً في تلك الظروف والأثناء ، حتى وإن كان خبيراً عارفا بالصحراء .

وأنا بأسم الشعب الكردي أقدم شكري وأمتناني للصحراء التي حافظت على رفاة أحبابنا وأعزائنا سنين طويلة .

أقدم أعتزازي الى ذلك الجهنم الذي أشفق علينا ونظر نظرة رحمة لنا . ولكن وبكل أسف مازلنا نبحث عن جهنمات جديدة .

قلعة سلمان (قلعة موت الأكراد)

المسافة بين قضاء سلمان ومحافظة السماوة تبلغ حوالي 160كم .... وسلمان قضاء على حدود السعودية يبلغ عدد عوائلها حوالي 500 عائلة ويبلغ تعدادهم حوالي 2936 فرداً يوجد في (سلمان) سجنان كبيران ومخفر للشرطة .

وتوجد اليوم في المخفر عدة دوائر ومؤسسات وتم بناء سجون (نقرة سلمان) بين سنوات 1926ـ 1928.

أما السجن الثاني فتم أنجازه سنة 1981.

ومع نهاية البناء تم ملؤه بمواطنين الكرد.

وتتكون عشائر سلمان من (آل زياد ، آل عيسى ، آل عليج ، آل جشعم ، آل عاجيم)

بشكل يتكون (سلمان) من هذه القبائل والعشائر ..

وتوجد في (سلمان) مدرسة متوسطة مختلطة واحدة بالأضافة الى مدرستين أبتدائيتين .. واحدة للبنات والأخرى للصبية.

لا يوجد في سلمان تلفزيون أو تليفون .. وليس فيها طبيب رغم وجود مستوصف .

وأغلب أهالي سلمان يعملون في سلك الشرطة . بعد تشكيل دولة العراق الجديدة .

وهذا السلك (الشرطة) تناقلوه بالوارثة من الأباء والأجداد منذ العهد الملكي .

ولا توجد فيها كهرباء بل يستخدمون المولدات ... والقضاء بعيد عن كافة الخدمات . يتبع القضاء ناحية واحدة فقط وهي (بوسية) ويوجد في (بوسية) أكثر من (15) مقبرة جماعية.

ويقول مواطن فيهم (منذ أن أوجدنا الله نعمل في سلك الشرطة)

وقبل زيارتنا القضاء . زرنا القلعة . وبُعد القلعة 5كم عن القضاء. والقلعة مبنية على مكان مرتفع على عكس القضاء الواقع في وادي منخفض لا يمكن لك رؤيته الى أن تصل اليه .

وكلما تقترب من القلعة تزداد خوفاً وقلقاً إنها قلعة كالعفاريت التي في القصص والحكايات الكردية وفي الصحراء ..

على الرغم من أني لم أرى (باستيل) لكنها كبيرة مثل قلعة (باستيل) وهي غليظة وقوية ومقفلة كالباستيل إنها تشبه القلاع الشرقية التي تستعمل للقتال .

وبدأت بتصويرها عن بعد . وكلما تقترب منها هي تكبر وأنت تصغر .

وقفت وسط الباب .. وقلت للأخ منصور أن يصورني . وأحسست بأنها (حوت) تريد أن تبلعني

إذن هذا المكان هو ذلك المكان الذي حدثنا عنه الشيوخ والعجائز الناجون منها من الأكراد .

إذن هذا هو المكان الذي كلما تحدثنا عنه تقول نسائنا المحتشمات بالسواد .

(لا تذكر أسمها.. كي لا نتذكر الألم والعذاب والجوع والعطش والخوف..) فنحن نعرف الكثير والكثير من القصص والحكايات الواقعية المرة والمؤلمة عن هذا المكان .. نعرف بأن هناك تم أغتصاب أكثر بنات الكرد الجميلات ومن ثم أعادوهن مجنونات الى هذه القاعات وبعدها فقدن الحياة خجلاً . وتم رمي جثثهن للكلاب السود . وكتبوا على جثثهن (ماتت بسبب توقف الدورة الدموية) .

وهناك الكثير من القصص الحية التي نفذها جلاوزة النظام ضد فتيات الكرد .

نحن الآن في (قلعة سلمان) أو (قلعة الموت) وتسع لأكثر من عشرة آلاف سجين وهي دائرية الشكل على هيئة قلعة (سوسي) ولكن أكبر منها .

وقلعة سلمان ذات طابقين فيها العشرات من القاعات والصالات والغرف .

وقبل الكتابة عنها أريد أن أبين لكم بأن القلعة مبنية بشكل لا يمكن لأحد الهروب والنجاة منها فهي مبنية على تلة عالية وتحيط بجهاتها الأربعة صحراء قاحلة ... ولا يمكن لك رؤية شيء آخر غير الصحراء وقبل الوصول الى السور الضخم للقلعة كانت هناك (أسلاك شائكة) كثيرة ، وتبعد الأسلاك عن السور حوالي 100متر وفي زوايا الأسلاك توجد نقاط أو غرف للحراسة .

وسور القلعة عالٍ جداً ، ولها ثلاث مداخل أو أبواب بحيث جميع انواع السيارات يمكن لها الدخول منها . وفوقها عشرات من نقاط الحراسة وعندما تدخل السور تحس إنك في جهنم حقيقي ولايمكن لك بساعات أو أيام أن تكتشف أسرار الغرف والقاعات الكثيرة .

وفي قناعتي قد تستطيع في 4 أيام أن تكتشف أكثر الأماكن والغرف , وعند دخولك أية غرفة تجد نوعين من الكتابة نوعية مليئة بالبراءة والمظلومية وأخرى مليئة بالتهديد والوعيد الذي يعود بنا الى زمن الخطيئة وأن الأنسان متهم.

وتجولنا في عشرات الغرف صعوداً ونزولاً . وأحياناً ندخل مداخل لامخرج منها فنضطر الى العودة ثانية كنا ننظر الى عظمة بناء تلك القلعة المبنية للأبرياء والعزل .

وهناك قاعات خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال . والمراحيض موزعة بينهم وهناك أماكن تعذيب خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال .

(يارب هذا جهنم) . في مكان مكتوب عاش الشعب ونحن نرى الشعب مذبوحاً في أيدي جلادين .

ومكتوب "السلام لشعبنا البطل" وهناك تراودني قصة عودة "عاصي" من الأسر ويريد أن يعرف مصير عائلته .

فتتم أجابته "زوجتك وعائلتك وأطفالك فقدوا في عمليات الأنفال" وهناك أنواع الكتابات والشعارات منها أستهزاء بالشعب الكردي وهذه الشعارات تحمل معاني التهديد والوعيد ضد شعبنا .

فالجلادون منفذون كل ما قال القائد . قالوا (أمرك سيدي أمرك سنلعن سلف سلفاهم) ولا ترى على الجدران فقط تهديداً للكرد بل شعارات تهدد كل العالم . فيهددون (اميريكا وبريطانيا وإيران وإسرائيل)

وفي القلعة لا يمكن أن تجد صاحبك إلا بواسطة (النداء بصوت عال) .

تلك القلعة مبنية من صخور كبيرة جداً . ولها ثلاث بوابات فدخلت أنا من بوابة وخرجت من الأخرى فأصبت بدوار بحيث لم أفرق بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب ..

وقد تحدث كل من "منيف والحاج عبد" عن القلعة وإن أهل سلمان يسمونها قلعة "المليون" لأن تكاليف بنائها بلغت مليون دينار عراقي حينها أي سنة 1981 وهذا المبلغ يعادل آنذاك "ثلاثة ملايين دولار" ونحن نتخيل بعض الناجين منها من أولئك الذين كان يحدثوننا دوماً عن تلك القلعة وعن الظلم والعذاب والأغتصاب والماء المالح والحار ونحن نتخيل أولئك الذين ماتوا جوعاً هنا ..، نتخيل ذلك الشيخ الذي حتى لحظة خروج روحه يتلفظ لفظة (لا آله إلا الله) والجلادون يضحكون حوله .

أو صورة تلك "الفتاة" التي قالت للجلادين "خاطر الله" وفي الجواب قالوا "الله مجاز" وقالت خاطر محمد "محمد بمكة" وأثناء أقوال منيف والحاج عبد فإذا بأرنب يركض بسرعة . ولا أدري هل توجد أرانب في صحراء .. أم تواجدت بسبب قربها من سلمان .

وحوت القلعة على ألبسة وأحذية تعود لنساء الأكراد . وكل من "آريان ومنصور" كأنهم يعدّون الغرف والشبابيك بكثرة دورانهم ...

وكانت هناك شجرة في تلك الغربة كأنها بقيت للذكرى . وذكرتني تلك الشجرة بأغنية (الشجرة الوحيدة).

أخيراً تجمعنا للعودة ... وقررنا أن نعود مرة ثانية ونمضي الليل هنا .

والأخ منصور قال لو عدت سأبقى ليلتين لأن منذ سنة 1981 ــ 1991 وهذه القلعة تحوي سجناء الكرد . ليلاً ونهاراً . إذن لماذا لا أبقى ليلتين .

ومن يدري لعلنا في الليل نسمع أصوات أرواح المؤنفلين ففي أثناء تجوالي في تلك الغرف كنت أقول في نفسي ، الآن أو بعد حين سألتقي بأحد الضحايا ونحضن بعضنا بقوة .

وكلما كنت وحيداً وأصمت للحظات هناك كنت أسمع صراخ وأدعية فتيات الكرد كنت أسمع بكاء طفل كوردي يطلب ثوباً للعيد ... أو لعبة للعيد وكنت أقول في النهاية (كلنا سنجن هنا) .

من سلمان الى المقابر الجماعية

قلعة سلمان مع ماتحمله هذه التسمية من مصائب وآلام وجراح وويل ومع كل تلك الأستهزاءات والأستهتارات هناك بحق الشعب الكردي نستطيع أن نطلق على (قلعة سلمان) بـــ (محطة الأنتظار) قبل الموت.

فكل من أعتقل في القلعة . تم أعدامهم ورميهم بالرصاص على شكل دفعات متتالية . ثم دفنوا في مقابر جماعية في الصحراء .

وكل من وصل هناك في أي وقت وزمان كان يقول (المكان لم يكن خالياً ... وكان قبلنا آخرون معتقلين في هذه السجون)

ولأني صحفي وقمت بعدة لقاءات مع عدد من المؤنفلين العائدين من سلمان .. فدوماً سمعت منهم هذه الأجابة وهي (حينما وصلنا الى القلعة والمعتقل وجدنا في السجون ملابس وطعام وأشياء تعود لمعتقلين آخرين قبلنا)

ومن هنا وصلنا الى تلك القناعة بأن هؤلاء المعتقلين كانوا في محطة بأنتظار الموت والبعض الذي تم العفو عنه فكانوا

طاعنين في السن .. وقد يكون العفو عن هؤلاء من أكبر أخطاء النظام وجهله . وهؤلاء العائدون تحدثوا لنا عن هذه المحطة والناجون من محطة الموت (سلمان) قد يكونون نجوا بصدفة (وهذه الزيادة في أعمارهم) ومع الأسف كثير من هؤلاء العائدين ماتوا بعد أيام من عودتهم لما لاقوه من مصائب وأمراض هناك ....

والناجون تحدثوا لنا عن ما لاقوه من العذاب وكيف كان يموت منهم يومياً أعداد كبيرة .... ولكن وللأسف ليست لدينا أحصائية عن تلك الأعداد التي ماتت هناك .

وتحدث لنا أحد المؤنفلين العائدين من نقرة سلمان وهو يقطن "مدينة شورش" وفي محلة (بيريادي) وبقى هناك حوالي (6) أشهر حيث قال: دوّنا أسماء 1360 ضحية ماتوا هناك . مع تدوين أعمار الضحايا ..

لكن بعد خروجه من المعتقل قام أحد (الفرسان) (الجحوش) بتهديده .. إذا لم يعطه هذه القوائم والأسماء المسجلة .. سيقوم بتسليمه الى سلطات الأمن وخوفاً من التهديد أعطاه القائمة .

وقد حصلنا نحن على قائمة لـــ (93) أسماً ماتوا هناك تحت التعذيب والعطش والجوع والحر الشديد وقد كتب في السجل بأنهم (توفوا بسبب توقف الدورة الدمية) .

وهذه القائمة بـــ (93) غيض من فيض من الضحايا الذين توفوا هناك وبعض الضحايا تمت عليهم تجارب مختبرية .. أو ماتوا لأسباب أخرى لانعرفها نحن وفي تلك المعتقلات بين فترة وأخرى كانوا يسحبون من هؤلاء المعتقلين الدماء لأسباب واهية فمرة لجرحى فلسطين ومرة أخرى لجرحى الحرب العراقية الأيرانية التي دامت أكثر من ثمانية أعوام ...ألخ وأغلب العائدين من محطة انتظار الموت لم يتصوروا أن يعودوا وينجوا رغم أنهم كانوا في المعتقلات سوية . حيث كانت لغة التسامح والرأفة والشفقة سمة تعم معاملتهم اليومية لأنهم في أنتظار الموت .

وذات مرة حصلت منظمة (هيومان رايتس ووج) على جواب لأحد المؤنفلين بالشكل الآتي (تلك كانت جهنم التي رأيناها) فلهذا الجواب عدة أوجه .

فوجهه الداخلي عبارة عن عودة ونجاة عدد من المؤنفلين المساقين الى حفر الموت .

أحد العائدين يقول (عندما أرادوا أن يفرقوا طفلي عني فأنا وبناتي وأطفالي الأخرين رمينا أنفسنا على الطفل كي لا يأخذوه) ولكنهم أخذوه ... وبعدها مارأيت أبني أبداً . بعد بقائنا في القلعة . كانوا يومياً يأخذون أعداداً الى تلك المقابر وقد أستمرت هذه الحالة من الأعدامات اليومية ضد

المؤنفلين خمسة أشهر . حيث بدأت من الشهر الرابع وأنتهت في الشهر التاسع من سنة 1988 ومن ثم يملأون القلعة يأتون بهم من كركوك من سجون (دبس وطوبزاوة وأماكن أخرى) .

وكان في تلك الفترة جلاد وهو وحش القلعة يدعى (عجاج) وكل العائدين من الأكراد حينما يذكرون (عجاج أو حجاج) يذكرونه مع كلابه السود فالعائدون يقولون (حجاج "عجاج"والكلب الأسود) وهذا الرجل يحب التعذيب والقتل وإراقة الدماء وكان يعدم فردياً وجماعياً يومياً .

وكان لعجاج حفر خاصة قريبة لرمي الضحايا وأغلب تلك المقابر والحفر موجودة في (السماوة والبوسية وسلمان) وكل هذه المقابر ترتبط بالقلعة لأنهم أخذوا من هناك وكل الروايات تثبت صحة ذلك ..

فبعض من أخواننا العرب كانوا يقولون لنا (لاطائل من البحث عن المقابر في أماكن أخرى) وكنا دائماً نصل الى تلك القناعة بأن جميع الأكراد مدفونون هنا من البارزانيين والفيليين والمؤنفلين ولكن حينما كنا نجد ضحايا وقبوراً في مناطق متفرقة أخرى . فعندها نقول بأن هناك محطات أخرى لأنتظار الموت عدا محطة قلعة سلمان وأنواع الطرق

المستخدمة في قتل الضحايا ونوعية السلاح والعملية وكيفية أخذ الضحايا وواسطة النقل وأعداد الجلادين ومعلومات كثيرة أخرى لها علاقة بتأسيس محكمة خاصة .. تحكم وتحاكم المجرمين وتستطيع تلك المحكمة أن تضع كثيراً تحت المساءلة ممن لهم علاقة بعمليات الأنفال ونحن نعرف فقط أنهم أخذوا من قلعة سلمان الى مقابر الموت . ولاندري ماذا حصل قبل وبعد ذلك .

فهناك من الأسئلة بحاجة الى أجوبة حقيقية وصحيحة ولا يمكن أن تبقى تلك الأسئلة نهائياً بدون أجوبة أو تكون معلقة الى الأبد في الوقت الذي يريد فيه أصحاب القرار من ساستنا أن يحتفظوا بهويتهم العراقية فبقاؤهم كعراقيين يوجب عليهم حتمية الأجابة على كل تلك الأسئلة .

فالمجتمع العراقي قادر على أعادة صدام آخر وينتج حزب بعث آخر فلو أننا قرأنا كتابات الأستاذ (على الوردي) فبدون أدنى شك سنقول (نعم) . المجتمع العراقي قادر على أنتاج صدام وبعث آخر .

إذن من حق الشعب الكردي أن يخاف من التعايش وهذا السؤال يطرح نفسه عدة مرات على صفحات هذا الكتاب .

على جدران قلعة سلمان، منقوش عليها/سنين وتأريخ

من الأشياء الهامة التي توقفنا عندها كثيراً هي تلك الذكريات المكتوبة على جدران السجون ، مع علمنا إن أكثر المؤنفلين في تلك السجون كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة ، مع ذلك يمكن أن نرى ونلاحظ كتابات لذكريات أيام المعتقل على الجدران . وللتعرف على كل تلك الكتابات في كل المعتقلات يحتاج المرء الى عدة أشهر يبقى هناك كي يجمع كل تلك الذكريات . وهذا العمل بحاجة الى جهد وتعب كبير ومتواصل وتحت كلمة (ذكرى) المنقوشة على جدار إحدى المعتقلات وهي منقوشة كالآتي:

1981/10
1982/12/6
1983/12/9
1984/8/
1985/8/
1986/7/
1988/4
1989/9/5
1990/1

ودوّنت سنة أخرى مرتين . عدا سنة 1988 وفي الحقيقة لم أستطع معرفة تلك السنة المدونة مرتين .

وأحد أصدقائي من الجنود الأكراد المشاركين في حرب الكويت قال لي: (في عادن هناك كتابات وذكريات كثيرة منقوشة على الجدران .. باللغة الكردية)

وقد دوّنت فتاة كردية الآتي (نحن موقوفون ولا ندري مصيرنا غداً) ونحن لم نستطع الوصول الى (عادن) بسبب الحر الشديد وعدة أسباب أخرى ، وأغلبية سكان المنطقة هناك قالوا لنا لمثل هذا العمل يجب أن تستخدموا طائرة (هليكوبتر)

وفي مرات قادمة نستطيع أن ندوّن كل الذكريات ونرسمها بواسطة (هيلكار) قديم ، ويجب أن نحافظ على كل تلك الصور ويشاهدها الأبناء لتبقى في أذهانهم الى الأبد .

ياترى كيف كان حال ذلك الشخص الذي أنتظر كل تلك السنوات المدونة آنفاً؟

بماذا كان يشد عزمه؟ كيف أنتظر كل تلك السنين؟ بماذا كان يفرح نفسه بالخروج من السجن؟ كيف كتب كل تلك السنوات؟

كل هذا له دلالات عميقة لنا . فكم أنتظر هذا الرجل لينعم بالحرية؟ ويطير بجناحين منها؟

ويجب أن أقول في كل عوائق سجون سلمان وأمام كل تلك الشعارات البراقة للبعث وعند قراءة ذكريات المؤنفلين في الصحراء وداخل القلعة ، في كل هذا كنت شاكاً أنا بهويتي العراقية وأنتمائي للعراق ..

فأنا منذ سنة 1988 جنسيتي العراقية تعرف بالأنفال والكيمياوي ، إذن لماذا هذه المعركة من أجل عراقيتنا؟

وأنا لم أكن عراقياً أبداً .. فبالقوة ألصقوني بهذا العراق وتحت مظلة هذا العراق فقدت هويتي .

في مئات الأماكن أسماء مدوّنة على الجدران . فمثلاً هناك أسم (أحمد غلام كردي) قد يكون هذا المسكين من الأكراد الفيليين ، دوّن أسمه مرتين مرة بالكردية ومرة أحمد غلام كردي وبخط مترنح

وهناك أسماء كثيرة مكتوبة هنا وهناك وفي زاوية مكتوبة (آخ يادنيا) .. وأنا في رأيي هذه الـــ(آخ دنيا) تختلف عن المئات من (آخات الدنيا) الأخرى ... لأن هذه تحمل معاني كثيرة وكبيرة فهذا السجين كان أمام دنيا صماء وخرساء وعمياء .

هذه الدنيا التي لاتسمع أنين وصراخ قومية مظلومة منذ تواجدها على هذه الأرض تنال الظلم والأضطهاد . ويجب علينا جميعاً أن نتضامن نحن الكورد مع صوت ذلك السجين

الذي لايدري أهله مصيره وفي أية مقبرة جماعية تم دفن أشلائه . ويجب أن نبصق على هذه الدنيا التي تستاهل منا البصاق .

ونحن لا نبقى كثيراً هنا كي نجمع كل تلك الكتابات مجموعة سميت أو أطلقت على نفسها (زيارة جهنم)

ذهبت الى هناك ، وقد أستمعت اليهم وقرأت تدويناتهم على أوراق الصحف ، وكان من المقرر أن أكون أنا معهم في تلك الرحلة لكن وفاة (والدي) حالت دون ذلك ، ويجدر بي هنا التحدث عن وفاة والدي.

ومجموعة (زيارة جهنم) حينما عادت من قلعة سلمان قالوا لنا كان مكتوباً على جدران إحدى الزنزانات الشعر التالي بالكردية:

ذات مرة مررت بمقبرة
سمعت بأذني حرارة بكاء
رأيت عظمة تحت الثرى ... تقول ....
أين لذة هذه الدنيا ....؟

وحينما تذهب أنت الى هناك تشاهد وترى كل الأكراد معلقين على جدران قلعة سلمان . فإذا كانت مدن السليمانية وكركوك وهولير جزءً مهماً من تأريخنا . فكذلك قضاء سلمان . جزء من هذا التأريخ . فجدران قلعة سلمان (صحف لهذا التأريخ ... ذلك التأريخ الذي يجب أن لا ننساه أبداً) .

كلاب الصحراء السوداء

كل العائدين من نقرة سلمان تحدثوا عن الكلاب السود في الصحراء ... ونحن حينما رجعنا من الصحراء تحدثنا عن تلك الكلاب السود أو الكلب الأسود . وهذه الكلاب تحدث عنها شيوخ وعجائز الكرد العائدون من نقرة سلمان .

وهذه الكلاب هي أفضل وأعز أصدقاء (عجاج أو حجاج) وكانت الكلاب متعاقدة مع جلادي البعث في عمل مشترك ...

ولكن بوجبات متتالية ومتعاقبة ..

فالمعتقلون حينما كانوا على قيد الحياة كانوا يصرخون ويعذبون ويتألمون بضربات (عجاج) والجلادين

وحينما كانوا يفارقون الحياة كان يأتي دور تلك الكلاب لتنتشل من جسد تلك الجثة .. ولا يتركوها ترتاح حتى في موتها ...

والمعاهدة أو البروتوكول الموقع بين العجاج والكلاب السود هي الأستهزاء والأهانة والأستهتار بالشخصية

الكردية في حياتها وبعد موتها هناك في الصحراء كل الكلاب أو أغلبها سوداء أنا لا أعرف هل الطبيعة جعلتها بهذا اللون؟ أو كارثة الأنفال خلقت هذا الشيء بين العجاج والكلاب السوداء .

وهناك أسطورة تقول: (من ذلك اليوم الذي أقدم فيه الذئب بأكل يوسف . فالذئاب حرمت على نفسها أكل لحوم البشر)

أما اسطورة الأنفال فتقول: (من ذلك اليوم الذي أبرمت فيه الأتفاقية بين العجاج والكلاب السود بالتوقيع على قتل الأكراد . فالله تعالى جعل كل الكلاب سوداء) .

والأسطورة تقول أيضاً (إنها أدعية النساء وعجائز الكرد التي فعلتها وجعلت الكلاب سوداء)

ولكن الله تعالى وقف مندهشاً ينظر الى كلتا يديه اللتين خلقتا عجاج المجرم . وتوقف الباري يراجع قوله الذي يقول: (لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم)

تقول العجوز (مهروبة يوسف) التي تسكن مدينة (شورش) وكانت معتقلة في نقرة سلمان كانوا لايعطوننا أي شيء ، لاخبز ولا ماء . وكل يوم يموت منا أكثر من عشرين شخصاً لتصبح وجبة شهية للكلاب السوداء .

ولقد تحدث عن الكلب الأسود كل العائدين من (سلمان) وكان الجميع يشاهدون عظام ولحوم الضحايا في فم الكلاب وتقول (سلمى عزيز بابا)

(شاهدت جثة أبني في فم وتحت أنياب الكلب الأسود وكانوا لا يسمحون لنا بدفن الضحايا لتأكلها الكلاب .

وأخيراً وفي النهاية سمحوا لنا بدفن الضحايا.. ولكن كان يجب علينا دفنها في مكان خاص لا يساعد على الحفر لأن كلما قمنا بحفرها فهي تنهمر ثانية .. وأخيراً كانت الكلاب تنال من الجثة .. لأننا المكان كان غير صالح للدفن)

ونحن في سلمان شاهدنا تلك الكلاب السوداء . غامقة في السواد وأتصور أن تكون طبيعة المنطقة تساعد على ذلك فليست هناك علاقة بين قصة يوسف والذئاب التي طوقت بأطواق سوداء على رقابها. في الحقيقة ما كرهت يوماً من الأيام الكلاب أبداً .. حتى عند سماعي لقصص تلك الكلاب من نساء مدينة شورش العائدات من سجون نقرة سلمان ولكن عند مشاهدتي تلك الكلاب هناك فقد كرهت الكلاب كثيراً ولا أدري لماذا قمت في منطقة (بوسية) برمي كلب أسود بالحجارة . وعلى مرأى من الناس لا أدري .

ثورة الرمال

توقفنا كثيراً عند الصحراء . فتحدثنا عن قحل الصحراء وغضب الصحراء .. وعن قلب الصحراء . وأشياء كثيرة أخرى. في اليوم الذي قررنا فيه الرحلة الى (بوسية) فقالوا لنا بعد الخروج من (سلمان) يجب أن نسير مسافة أكثر من (100) كم في عمق الصحراء وفي طريق من الرمال ورافقنا في تلك الرحلة رجل كردي هاديء الطبع وموزون جداً ألا وهو الدكتور (محمد أحسان) وزير حقوق الأنسان في (هولير) وهو حاصل على شهادة دكتوراه في السياسة الدولية ..

وكان يبحث عن رفاة الضحايا من الكرد البارزانيين الذين أبادهم الحكومة العراقية بثلاثة مراحل في سنة 1983 .

حيث أعتقلوا كافة رجال (قوشتبة وحرير وديانة وبحركة) ودفنوهم في حفر الموت (المقابر الجماعية)

وكان الدكتور من خلال كلامه حاملاً هموم حقوق الأنسان عموماً وكان متأثراً جداً بعمليات الأنفال الوحشية .... وقبل أن أتكلم أكثر عن الدكتور (محمد) ومصائبنا يجب أن

نتطرق الى أنفال البارزانيين قليلاً . فالبارزانيون بعد ثورة أيلول تم حجزهم في مجمعات ... ويمكن أن نسمي تلك المجمعات بالمجمعات القسرية

حيث قامت قوات الحرس الوطني البعثي بمحاصرة مدينة (قوشتبة) من أربع جهات وفي 31 تموز سنة 1983 أعتقلوا كل الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين (12 ــ 70) سنة أخذوهم الى أخاديد الموت وفي يوم 10/آب/1983 تم محاصرة المجمعات الثلاث الأخرى فأعتقلوا الجميع .

وفي الأول من تشرين الثاني سنة 1983 قاموا بتفتيش منظم ودقيق أكثر من الأول وتم أعتقال ما تبقى من ذكور المجمعات الأربعة الأخرى .. وقتلهم ودفنهم في مقابر جماعية .

وأعتقد أن البارزانيين مدفونون في (بوسية) فبعض من الشهود أكدوا لنا ذلك .

ولا أعتقد تم الذهاب بهم الى نقرة سلمان . لأن ليست هناك أدلة على ذلك أو تم قتلهم بعد المجيء بهم من (قوشتبة)

والدكتور (محمد) كان هناك خصيصاً لمعرفة مصير البارزانيين وكنا مسرورين بتواجد رجل مثل شخصية الدكتور خصوصاً بعد أن أتفقنا على توحيد العمل والجهود

.. وقد شجعنا وشكرنا كثيراً على مجهودنا نحن في وزارة حقوق الأنسان في السليمانية .

وذات مرة قال لي (أنا أحب كل صحفي نشط مثلك وأتمنى أن أراك لاحقاً)

وفي طريقنا الى (بوسية) زرنا مرة أخرى المقابر الجماعية في (ضبي) الذي ضم رفاة عائلة (تيمور) وتوجهنا الى (سلمان) ثم وصلنا الى (بوسية)

وقد ضمت رحلتنا ثلاث سيارات ... أثنان من نوعية اللاندكروز وأخرى سيارة بيك أب دبل وقبل خروجنا عن الشارع الرئيسي بين سلمان وبوسية تعطلت سيارتنا اللاندكروز .. فأضطررنا أنا وكاك منصور في الأستمرار لأداء مهمتنا أن نصعد خلف السيارة البيك أب ومن هنا بدأت ثورة الرمال .... فقمنا بشد أعيننا لأكثر من 100 كم في وسط الصحراء ... مع أمواج الرمال المتصاعدة ولهيب حرارة الصحراء .. وعرقلات سيارة البيك أب ...كنا في معركة مع هذه الأجواء الى اللحظة التي شارفت السيارة على الأحتراق ... وكادت الرمال أن تتيهنا في أعماق الصحراء ..

وأكثر من مرة كدنا نتيه في الصحراء لأن الرمال المتصاعدة أظلتنا فأكثر من عشر مرات دارت معنا هذه الدائرة .. وتركنا صديقاً مع سيارتنا العاطلة .

وعندما رجعنا عند الغروب .. وجدنا صديقنا عند السيارة العاطلة .. فقمنا بسحب السيارة العاطلة بواسطة سيارة الدكتور (محمد) الى سلمان. أكرر مرة ثانية أن الدكتور (محمد) رجل فريد من نوعه لأنه كان يراعينا حتى عند شربة الماء ... وأنت في الصحراء يجب عليك أدراك ذلك .

العويليون

تحدثنا كثيراً في الطريق عن الصحراء والحياة فيها وكوارث الصحراء .

وعلى جدران قلعة سلمان مكتوب (أهلا بكم في جهنم)

في ذلك المكان يجب علينا أن ننطق دوماً هذه الجملة .

وشاهدنا في الصحراء فتيات جميلات فارعات الطول سود العيون . وتتواجد في الصحراء قبيلة (العويلية) بين بوسية وسلمان ... وكلما تحدثت عنهم تذكرت (الهنود الحمر) أولئك الذين حاولوا كثيراً بقاء بيئتهم نظيفة وجميلة . فهم قاتلوا في سبيل ذلك على مر التأريخ .

ولكن في النهاية توصل الامريكيون الجدد الى كل مكان من هذا العالم .. حتى صعدوا الى السماء .

حينما كنا نعبر الأماكن التي يتواجد فيها (العويليون) ولا أدري من أين أتت هذه التسمية .. هل من رقصات الهنود الحمر؟ في الطريق كنت أتخيل تخيلات عجيبة وغريبة كنت أتمنى حينها أن يخطفوني .. حيث كان أصدقائي يتحدثون عن عمليات السطو والنهب لهؤلاء ... وكانوا يقولون

عنهم (أن الحكومة لا تقدر عليهم حينها وأصدقائي العرب كانوا يخافون أكثر منا من أولئك)

فهم يتحدثون عن شجاعة هؤلاء في القتال وفي مقارعة الصحراء .... وأنا كصحفي كنت أتمنى أن يخطفونا .

كنت أريد أن أعرف المزيد عن حياتهم وطريقة عيشهم وحياتهم .. عن معاملاتهم وعن أخلاقهم كنت أتمنى أن أرى نساءهم هل هن جميلات أم لا ؟

كانت سيارتنا سريعة جداً وذلك خوفاً من العويليين وعيناي دائماً تنظر الى الطريق .

وأخيراً كنا محظوظين لأنهم لم يعترضوا طريقنا. والعويليون جزء من عشيرة الجبور الكبيرة وينتمون الى المذهب الشيعي .

الصحراء .. مزرعة زهور النرجس ..

قبل سنة أو سنتين من كتابة هذه الذكريات المرة كتبت قصة حينها وصورت الصحراء بأنها مزرعة زهور النرجس لوجود رفاة الضحايا فيها وكنت سعيداً حينها بهذه القصة ..

وأنا في الصحراء تذكرت واقع تلك القصة ومشاهدها وفكرت فيها بأمعان .

وفي الصحراء كان حدسي يخاطبني . الآن أو بعد قليل ستخرج زهرة النركز من مكان ما في هذه الصحراء وكنت أبحث شيئاً فشيئاً عن النرجس .. وأثناء البحث كنت أتصور نفسي مجنوناً وأحياناً كنت أجيب نفسي بشاعرية .. قد يأتي ذلك اليوم الذي تزرع فيه الصحراء بزهور النرجس ...

وزهور نرجس الصحراء هم كل أولئك الذين أرغموا على طمس هويتهم العراقية في الصحراء وهم من البشر المنتمين الى هذه الأنسانية ..

وحينما أترك تلك التخيلات . وأرى رفاة الضحايا وأتذكر جنسيتهم ... فأقول حينها (يجب علينا نحن أن نتبرأ من عراقيتنا . ولايمكن لنا أن نلتزم بالعراق أبداً .. فالهوية العراقية عبارة عن كذبة ولعبة كبيرة لا غير . هذه الهوية التي أصدر قانونها في 23/آب/1922 ومن يومها يتم قتل وسحق وأعدام الأكراد تحت مسميات وهمية إذن العراقية للأكراد هي كذبة وخدعة فقط.

في هذه الأثناء وأنا مشغول بكتابة هذه الأسطر وهويتي الشخصية مكتوب عليها صادرة بموجب قانون الأحوال المدنية رقم 65 لسنة 1972.

وفي الأعلى مكتوب (جمهورية العراق) وكل هذه الكتابات عبارة عن أكاذيب كبيرة فحسب وهذه الهوية التي تدعى (بالجنسية) لا تربطني بهذا العراق.

هذا العراق الذي أراد على مر الزمن أن يمسحني من خريطة العالم ومن الوجود .

وكل هؤلاء الضحايا من زهور النرجس يحملون هذه الجنسية.

ونحن وجدنا عدداً من تلك الهويات وفي كل مرة حينما آتي الى الصحراء .. فعند العودة سأحمل معي من ورود النرجس هذه قدر المستطاع.

فالنرجس هي الوصف الوحيد لرفاة ضحايانا الغير مدللين فهذه الزهور أنتظرت سنيناً لترى وتشاهد ربيعاً من الحرية. وإذا كان بأستطاعتي ومقدوري أن أجمع كل زهور النرجس في هذه الدنيا وأزرعها بجانب الضحايا في الصحراء وأملأ الصحراء برائحة زهرة النرجس لفعلت.

مناطق جراحاتنا

عند تنقيبنا عن رفاة الضحايا قمنا بزيارات جماعية لعدة مناطق . وسأقف بأختصار على هذه المناطق رغم تحدثي عنها مسبقاً .

هذه المناطق والأماكن هي (مناطق جراحاتنا) أماكن رفاة ضحايانا وأحبائنا وأحبابنا

مهما نتكلم عنهم فكلامنا قليل جداً . ويجب أن نعلم أن المناطق التي زرناها ليست هي كل تلك المناطق التي تتواجد فيها رفاة الأكراد .

والأماكن أكثر بكثير من تلك المناطق التي قمنا بزيارتها فنحن زرنا (كربلاء مقبرة الحيدرية الجماعية ، البصرة ، العمارة ، بوسية ، سلمان ، فجر ، مقابر زاهر الجماعية) كان تأريخ أول زيارة لنا في 2003/5/27 عندما توجهنا الى كربلاء، مع جمعية حقوق الأنسان فرع كربلاء . زرنا المقابر الجماعية في الحيدرية منطقة (المزارع ــ الخط الثالث) فتكلم لنا أربعة شهود وهم:

أــ كريم عطية حسن

2ــ علي عبدالأمير
3ــ عباس عاصي
4ــ محمد عبدالواحد جوهر

وقد حصلنا على الساعات وهويات الأحوال المدنية في مقبرة الحيدرية الجماعية التي يبلغ طولها حوالي 60 متراً وعرضها 20 متراً وفي حدود محافظة كربلاء توجد أكثر من (32) مقبرة جماعية حسب معلومات جمعية حقوق الأنسان هناك .. فهناك مقابر جماعية كثيرة تعود للأكراد ولكن لم نستطع معرفتها .

وفي تأريخ 2003/5/29 زرنا مدينة البصرة آملين أن نذهب من هناك الى ناحية (الدير) حيث قالوا إنها تحوي مقابر جمعية كثيرة تعود للأكراد . لكن لظروف المنطقة لم نستطع من زيارتها .

بتأريخ 2003/5/30 زرنا المقابر الجماعية لضحايا سنة 1991 في البصرة ، فوجدنا البريطانيين قد أحاطوها بالأسلاك الشائكة كي لا يستطيع أحد البحث والتنقيب دون برنامج خاص . (بسام محسن علي) المسؤول العام لحقوق الأنسان في الجنوب تحدث عن وجود عدة مقابر جماعية أخرى في المدينة . فمنها تقع تحت التماثيل ومنها تقع في الحيّ الصناعي وعند ذهابنا الى تلك المقبرة القريبة

من دور الأدارة . شاهدنا والدة إحدى الضحايا تبكي وتلطم الخدود وتسب الحكومة . وتشتم البريطانيين الذين لا يسمحون لها أن تأخذ رفاة وعظام إبنها . في 2003/6/10 زرنا قرية (ظاهر) التابعة لناحية (الفجر) في محافظة الناصرية ، هناك زرنا مقبرة جماعية تبعد حوالي (95)كم عن محافظة ــ كوت ــ وتبعد عن (فجر) نحو الناصرية بـــ 35كم وتقع على يسار النهر الثالث . الذي كان سمى بنهر (القائد) مثل باقي كل الأشياء في هذا البلد سميّت بأسم البعث وصدام . هناك تحدث لنا المواطن العراقي (صائب حسين الجادري) الذي كان عاملاً حينها في مشروع النهر الثالث سنة 1988 حيث قال (كانت هناك خمس سيارات أو باصات كبيرة تحمل الناس الى مقابر الموت. العمال يتحدثون أثناء حفر نفق المشروع عن وجود رفاة ضحايا تعود للأكراد .. لكن مهندس المشروع أستدرك الموقف وغيّر مجرى النهر ... وقام بأجلاء الرفاة والأشلاء وكان ذلك سنة 1992) .

أهالي قرية (ظاهر) التابعة لقبيلة (الرفيع) ورئيس عشيرتهم (شيخ فارس) قال إن ضحايا هذه المقبرة الجماعية التي هي عبارة عن عدة تلال مرتفعة أكراد . قمنا نحن بالتنقيب عن الضحايا . وأغلبهم من شباب الكرد الذين تتراوح

أعمارهم بين 20 ــ 30 سنة . كانوا يرتدون الزي الكردي .. وقد وجدنا بين الرفاة عدداً من (الكلبجات) وهذا دليل على أن الضحايا كانوا تحت مراقبة شديدة وتعذيب متواصل ... وقد هرب ستة أشخاص من المقابر الجماعية وهذه عبارة عن معجزة . وأحد هؤلاء الستة هو الشهيد (حمة علي) من قرية (عليان الجديدة) والذي أستشهد بعد ذلك في المعارك الداخلية بين الفصائل الكردية .

والثاني هو (عزيز) و (عمر) و (ابراهيم) وأخيراً (مصطفى) وأعتقد أن هروب هؤلاء من المقابر الجماعية دفع الحكومة الى أتخاذ إجراءات صارمة وحازمة مع المعتقلين .

في 2003/6/16 توجهنا نحو (ناحية سلمان) وتحدثت كثيراً عن ذلك في هذا الكتاب . لذلك لا أجد ضرورة في التكرار ثانية .

في 2003/7/17 زرت صديقاً لي في (العمارة) ومن ثم توجهنا الى مقبرة جماعية تضم رفاة (250) أمرأة وطفلاً كردياً في مقبرة (شهداء ثورة مايس 1941) . وهناك تحدث إلينا كل من:

1ــ كريم جبر كاظم

2ــ سيد هاشم علكة جعفر

3ــ ذنوبة احمد

حيث تحدث هؤلاء عن حوادث سنة 1988 في مركز شرطة (العروبة) حيث قاموا بجمع المعتقلين هناك ومن ثم أخذوهم الى مناطق متفرقة لغرض الرمي والقتل . وقبل ذلك طلب أزلام النظام من سكان المنطقة من يرغب بالزواج من هؤلاء النساء الكرديات ... لكن لم يكن أحد منهم مستعداً للزواج بهن هذا حسب أقوال أولئك الشهود .

في تأريخ 2003/7/8 قمنا بزيارة السماوة ثانية بصحبة الدكتور (محمد أحسان) وزرنا ناحية البوسية التي تبعد عن السماوة أكثر من 400كم ، ويبلغ عدد سكانها قرابة 600 شخص يقطنون حوالي 60 داراً ... وإذا تم تعدادهم مع (الرحالة) بلغ العدد الكلي تقريباً 2500 فرداً .

لا تحيط بهذه الناحية من كل الجهات ولو شارع واحد وأقرب شارع تبلغ المسافة بينه وبين الناحية 100 كم تقريباً وليس فيها مركز شرطة ولا (مدير ناحية) وهي بدون تيار كهربائي وهي تدعى ناحية (بالاسم فقط) .

يبلغ عدد المقابر الجماعية فيها أكثر من عشرة مقابر .

قال المواطن (صدام) في سنة 1988 حين كنت طفلاً شاهدت خمسة باصات صفراء تحمل معتقلين أكراد في المنطقة ، وقالوا سنأخذهم الى الناصرية . وبعد أقل من

ساعة عادت السيارات فارغة ، فالأهالي عرفوا أن هؤلاء تم رميهم وقتلهم .

هذا المشهد سرده الشاهد (صدام) الذي كان يكره أسمه كثيراً وهو يستحي من هذه التسمية اليوم . وأعتقد إن أولئك المعدومين كانوا من مدينة (حلبجة).

عاد البعض منهم الى المدينة بعد هروبه منها خوفاً من ظلم البعث وبعد عودهم تم أعتقالهم لان العفو كان خدعة ... هذا العفو لم ينجهم من الموت .

نهاية البداية الأولى

كانت هذه نهاية البداية الأولى لرحلتنا المرّة والتي حاولنا فيها إيجاد رفاة وعظام أحبائنا ... في الحقيقة هذه الرحلة علمتني أشياء كثيرة . مع حبي الشديد للعرب الشيعة . لأن الجميع كان ينظر إلينا بنظرة حب وود وأحترام ... وكانوا يدركون مدى مظلوميتنا .

مظلومون منذ قديم الأزمان يوم ألحقنا جبراً وأكراهاً بهذا العراق سنة 1926.

ألحقنا بهذا الوطن الذي لم يعطنا لحظة من الحرية ويجب أن لاننسى تلك الحقيقة أن في الشيعة أصواتاً وآراء مختلفة أيضاً . فأحد أولئك الأصدقاء كان يعتقد أن لفظة (كردستان) هي (بدعة) وهنا أشياء كثيرة متبقية ما تحدثت عنها في تلك الرحلات أشياء كثيرة أدهشتني وحيرتني مثل ماشاهدته في قضاء (حيّ) من أولئك الأكراد الذين لا يجيدون كلمة واحدة من لغتهم الكردية . وكانوا يعشقون قومهم عشقاً صوفياً .. فهم كانوا يفتخرون بقوميتهم

(الكردية) وكان يرغبون بأن يشاهدوا أنفسهم على خريطة كردستان.

وشاهدنا أشياء كثيرة وأخفينا أشياء أكثر .. حيث سنتطرق إليها في حينها .

مع ذلك كان هناك الكثير ممن يرغب تعلم اللغة الكردية .

وكثير من أولئك طلبوا منا أرسال معلمين اليهم ليتعلموا هم وأطفالهم اللغة الكردية .

فأنا لا أنسى أبداً صاحب ذلك الكشك في البصرة حيث كان ذلك الكشك مصدر رزقه وعائلته وكان يسميه (كاكا) ولا أنسى ذلك الرجل صاحب المطعم الذي لا يجيد كلمة كردية واحدة ويقول أنا (كوردي) ولا تلك العائلة الكردية التي كانت تلح بشدة ببقائنا عندهم كانت تلك أول مرة التأريخ يعيش فيها الكردي بحرية .. دون ترحيل أو توقيف أو سجن أو أعتقال أو قتل وأنفال .

وكان محالاً أن يزور كردي تلك المناطق دون مراقبة من جاسوس أو أحد أزلام النظام .

ونحن عدا أولئك الأكراد .. تعرفنا على عدد من العرب الأعزاء تعرفنا على أشخاص قد لا ننساهم أبداً .

هذه أول رحلة كردية بحرية الى جنوب العراق الذي تحكمه منذ اكثر من 80 عاماً اقلية سنية صادرت كل الحريات وسيطرت على مرافق الحياة .

أنا لا أدري كيف ستكون الرحلة القادمة؟ ولا أدري موقع الكرد بالنسبة للعراق الجديد؟

ولكني قلق جداً لهذا الموضوع لأن الأنسان الكردي جريح ومظلوم على مر التأريخ . فلهؤلاء الحق بأن يعيشوا كباقي البشر ..

فإذا كنا متفقين على أن هناك شيئاً إسمه (الحياة) فيجب أن تكون للجميع وبدون أستثناء حيث يكفينا ظلماً وجوراً وقمعاً .

ومن هنا يجب أن نوصل هذه الحقائق الى قومنا يجب أن نوصل تلك الصور في ملحقات هذا الكتاب الذي يحمل معاناتنا . فهؤلاء الأكراد عاشوا عبر التأريخ في الأنتظار ينتظرون الحرية . ينتظرون عودة الفراشات البرية ينتظرون التاج والكرسي والحظ .

رؤوس أقلام

عدا الأسماء التي ذكرتها . هناك أسماء لايمكن لنا تعديها .. فكل واحد من هؤلاء له علاقة من قريب أو من بعيد بالموضوع ..

وكل واحد من هؤلاء أو بعضهم (اليوم أو بالمستقبل) يمكن أن يكون له دور بارز في محاكمة مجرمي الحرب أو (الأبادة الجماعية) ويجب أن لاننسى دور كل من هؤلاء . سنكتبها للتأريخ من أمثال (ان كلود و ساندرا و بيتروماد) وآخرين ألتقينا بهم ولهم أهمية خاصة .

أـ أن كلود: الأنسة أن كلود عضو برلمان بريطانيا ونائبة رئيس وزراء بريطانيا لحقوق الأنسان وقد أتت الى كردستان رغم كل تلك المصاعب . وألتقينا بها إن هذه المرأة تعطي أهتماماً خاصاً بالقضية الكردية وحقوق الأنسان . وقد شاهدتها تذرف الدموع لمصائب الكرد .

وكلما سمعت أسم (صدام) تتغير ملامح وجهها وتغضب كثيراً . و (أن كلود) هذه حملت كوارثنا ومصائبنا الى

بلدان العالم خصوصاً أوصلت القضية الى بريطانيا . وقد دافعت كثيراً عن الأكراد . وقفت منجمدة حينما رأت ساعات الضحايا . وقد كانت تقول في نفسها (حقيقة إن هؤلاء القوم قلبهم من صخر ولا يعرفون معنى للخوف) .

(هذه الكوارث والويلات التي تعرض لها الشعب الكردي لو مرت بها دولة غربية لذابت ومحيت من الوجود) وفي جلسة أستمرت لحظات طلبت منا أن نحفظ الوثائق ولا نعبث بها . فقد كانت تعرف أن نهضتنا السياسية هي نهضة تخريبية للأشياء . لهذا السبب طلبت منا ذلك . فإذا لم تكن كذلك ففي أي مكان يصبح الجلاد مناضلاً والمناضل جلاداً . أو يصبح الظالم بطلاً على الضحية والضحية تصبح جلاداً) فقاموسنا مليء بالدهشة . فمثلاً إن المستشارين من آمري الفرسان (الجحوش) الذين كانوا في الصفوف الأمامية لجيوش أزلام النظام خصوصاً أثناء عمليات الأنفال . صاروا اليوم مناضلين وثوريين .

وكذلك بعض من أشباه الكتاب الذين يجيدون شيئاً من الكتابة أصبحوا اليوم من مؤسسي (الكوردايةتي) وهم الوحيدون ممن حملوا هموم حلبجة والأنفال ونضالنا التأريخي . أن كلود قرأت هذا الواقع جيداً وتعرفت عليه ، كانت تعلم جيداً لو لم تكن تلك الرصاصات من قبل التحالف التي

قتلت كلاً من (عدي وقصي) أولاد الدكتاتور .. فلو لم يقتلهم الحلفاء . فبعد عدة سنوات أخرى . سيصبحون عضواً في أحد الأحزاب العراقية الأخرى ويصبحون من أوائل المدافعين عن حقوق الأنسان .

على الرغم من ملاحظتي عن بريطانيا وأمريكا والغرب . لأن مصائب قومنا هم أسبابها . لكن مع ذلك أحببت هذه الأنسة من الأعماق .. ولا أدري من أين نبعت هذه المحبة ؟

2ـــ بيتربيك هيرت: وهو من المعروفين في منظمة مراقبة (حقوق الأنسان) رجل لطيف وحلو الكلام ... جلس معنا طويلاً وأرشدنا الى كيفية المعاملة مع المقابر الجماعية .

وقد قال لنا (لا يمكن أنجاز مثل هذه التنقيبات دون وجود أخصائيين في هذا المجال) وقد كان مترعجاً كثيراً لتنقيباتنا العشوائية في المقابر الجماعية .

وكان يعتقد إن هذه العمليات العشوائية من الحفر هي تعذيب جديد للضحايا مرة أخرى .

وقد أعطانا معلومات على القبور الجماعية في بوسنة ونصحنا بالصبر والهدوء خصوصاً عند رفع العظام والرفاة . مع ذلك كان متأكداً من إن أزلام النظام لم يتركوا مكاناً في العراق إلا وزرعوه بمقبرة جماعية . بحيث تتوقف أمامها

كل التكنلوجيا وتنقيبات المقابر الجماعية وبيتر لخص كلامه في ثلاث نقاط:

1ـــ البحث الدقيق والمتواصل في كل أنحاء العراق لإجاد جميع المقابر الجماعية المنتشرة في أنحاء العراق .

2ـــ دعوة الأخصائيين والفنيين في هذا المجال خصوصاً عند حمل الرفاة والعظام .

3ـــ جلب كل الأجهزة المتعلقة بذلك خصوصاً المتعلقة بكيفية البحث وإيجاد الضحية .

وقد تحدث لنا عن مقاصد (هيومان رايتس هووج) وهي ممثلة في نقتطين رئيسيتين:

الأولى:ـــ كيفية قتل الضحايا .

الثانية:ـــ إيجاد ومعرفة أسماء الضحايا .

وقد تحدثنا مع السيد بيتر في عدة مسائل تحدثنا عن برنامج واسع في المحافظة على المقابر الجماعية والتنقيب والمحافظة عليها . تحدثنا عن دور كل من أمريكا وبريطانيا في المساعدة وجمع المعلومات . وقد كان (بيتر) متأثراً جداً بمصائبنا وآلامنا حاله حال (أن كلود) وتمنى عدم تكرار تلك الكوارث .

3ـــ عبدالرحيم فيلي : عبدالرحيم عبدالكريم احمد من مواليد 1950 خريج كلية العلوم السياسية سنة 1972 رجل

نشط ومتحرك .. كان مهموماً بمقابر الفيليين الجماعية وكان عضواً في عدة لجان خاصة بالأكراد الفيليين وهو عضو فعال . حيث نظم الجماهير في مظاهرات لمعرفة مصير الأكراد الفيليين كان مع عدد من أقرانه يحملون أكياساً من الوثائق ضد النظام حول الأكراد الفيليين ومصيرهم .

وقد كان مترعجاً لوصول أعداد من عناصر البعث السابق في أحزاب جديدة إلى مراكز حساسة من تلك الأحزاب ، إنها نفس حالة كردستان العراق سنة 1991 والأستاذ عبدالرحيم أبدى استعداده معنا أينما نذهب وكان لا يعرف معنى للتعب والكلل .

وقد عرفني بمجموعة من الكرد الفيليين المعذبين في سجون النظام وكان من فقد كل أبناء عمومته وفيهم من لم ينج من عائلته أحد .. وفيهم من تمت مصادرة دارين من أملاكه . في الحقيقة عانى الأكراد الفيليون في بغداد كثيراً من ظلم النظام البعثي وهنا لا نستطيع ان نوفيهم حقوقهم في عدة كلمات من هذا الكتاب .

الأكراد الفيليون في العراق يقطنون (بغداد ، رصافة ، بعقوبة ، شاربان ، قزلبات ، جلولاء ، خانقين ، مندلي ، نفط خانة ، قزانيا ، بدرة ، جسان ، كوت ، حي ، علي الغربي) ومناطق متفرقة أخرى تمت مصادرة أموالهم المنقولة

وغير المنقولة بتهمة التبعية الأيرانية ... وقاموا بترحيلهم على وجبات الى إيران وحسب إحصائية لدي تم ترحيلهم في سنوات 1980 ــ 1981 ــ 1982 بالشكل الآتي:

التأريخ	عدد المرحلين
1980/7/22	4088
1981/3/4	1240
1982/1/29	3058
1982/1/30	2832
1982/3/4	8084
1982/3/7	2470
1982/6/3	100

يقول السيد عبدالرحيم (تم ترحيل 1834) عائلة من بغداد فقط أما في كل العراق تم ترحيل (85) ألف عائلة فيهم سبعة آلاف شاب تم أعتقالهم ثم ساقوهم الى سجون أبو غريب ونقرة سلمان . ومازال خمسة آلاف منهم مجهولي المصير الى يومنا هذا وفي أحصائية إيران سنة 1982 بلغ عدد المرحلين الفيليين 65 ألف شخص وتحدث لنا عبدالرحيم عن

وجود ألفي دار تمت مصادرتها في بغداد تعود للأكراد الفيليين وصودرت من قبل البعثيين ومازالوا يشغلونها .
بالأضافة الى المطاعم والدكاكين والمخازن ...ألخ
ويقول الأستاذ عبدالرحيم (لولا سياسة البعث الرعناء تجاه الفيليين الكرد لكان أكثر من 80% من أقتصاد بغداد اليوم بأيدي الفيليين) .
وللأسف بعد مدة من الزمن تأكدت من أن هذا الرجل خرج عن جادة الصواب . وحمل طبيعة غريبة لا يمكن معالجتها .. إنها طبيعة الأنسان الشرقي .
4ــ ماد: إنه رجل طويل ، ذو همة عالية يعمل في البحرية الأمريكية .. ومن كلامه يدل على أنه كان قريباً من القصر . وقال لنا (سأرسل هذه الصور الى البيت الأبيض والرئيس بوش) .
ألتقط عدة صوّر لضحايا المقابر الجماعية في (ظبي) وكان يتزعج من مشاهد ضحايا الأطفال لأنه كان يحب الأطفال كثيراً ... وكان يكره صدام والبعث كثيراً .
قال لنا أنا مستعد لتقديم كافة المساعدات لكم ، وأول مرة في حياتي أشاهد قوماً مظلوماً مثل الكرد . ولا أستطيع التحدث الى القنوات الأعلامية بسبب مهمتي العسكرية .
ولكن تأكدوا سأنقل مظلوميتكم الى كل أصدقائي وعائلتي

وأحدثهم عن تلكم المجازر التي نفذها أكبر دكتاتور في العصر الحديث ضد الشعب الكردي المسكين .
وأنا متأكد عندما يعود (ماد) الى بلاده سيحدثهم عن كل تلك المجازر والحقائق .
وأنا متأكد أن (ماد) لا ينسى صورة تلك العجوز التي كانت تحمل في يدها حبوب علاجها في المقبرة الجماعية في (ضبي) وكانت مشدودة في كيس .
كان يقول (ماد): ما ذنب كل هؤلاء ، يجب أن ينتقم الله لهؤلاء .
5ــ ثائر لبيب عزاوي: كان ثائر من بغداد ويحمل ماجستير في الأعلام حسب قوله .... كان يعمل في راديو وهو أعلامي نشط . وكان يتمنى أن يكون معنا في زيارة كل المقابر الجماعية في الجنوب . وكان دائماً يحاول الحصول على سبق خبري . طول تواجدنا في بغداد كان يدلنا على مناطقها ، وكان يستفيد من الأخطاء ليجذبك اليه .
تحدثنا كثيراً عن تفاصيل حياة العراقيين مع ثائر . وكان يعتقد بأنه من الممكن التعايش في ظل دولة ديمقراطية فدراليه . على الرغم من عدم معرفتنا بتأريخ الرجل إلا أنه كان يحب عمله كثيراً . ذهبنا مع ثائر الى عدة مقابر جماعية . وكان يرغب أن نسير وفق رأيه فقط . ونحن لم

نرض بالعمل حسب هواه مما فرق بيننا. وتمنيت له دوام العمل الصحفي ونحن أستفدنا من كل أولئك الذين عملوا معنا في الجنوب والوسط في أيجاد رفاة الضحايا الأكراد وثائر واحد من هؤلاء . ووجدت ضرورة التحدث عن ثائر وآخرين منهم أسماعيل علي قادر وعدنان حيث كانوا معنا ليلاً ونهاراً .

وأسماعيل يقطن مدينة شورش في جمجمال وقد قدّم لي عدة مساعدات يمكن التطرق إليها في مرات قادمة .

وفاة دلير

(دلير علي) طالب في الصف السادس الأعدادي وأحد أولئك الطلبة الذين يرغبون في خدمة المجمّع القسري (شورش) الذي كان عبارة عن جهنم ثانية لذوي المؤنفلين ، وكان دلير في مقتبل عمره ويحمل أماني كثيرة ، ولكن طلقة هاوية في مشاجرة وقعت بين شخصين رمته في حفرة تدعى (قبر) وسأبقى نادماً لعدم حضوري مراسيم وفاته وأربعينيته كذلك . وذلك بسبب تواجدي في الجنوب أبحث عن رفاة ضحايا الكرد .

وكان دائماً ينظم لي مكتبتي مع عدد من أصدقائه . ساعدني كثيراً في إيصال شكاوي أطفال المؤنفلين الى الجهات الرسمية . وكان كادراً نشطاً في مجلة (ثةح) التي تنتقد المسؤولين في القضاء .

ذهب مع عوائل المؤنفلين الى بغداد بعد عدة أيام من سقوط النظام . وطلب في وسط العاصمة بغداد أعدام الطاغية صدام ونشد نشيد (ئةي رةقيب) وأصدر أول عدد من مجلة 4/14 والذي عوقب من أجلها . وكان يتحدث بطلاقة في مجلة 4/14 وكان صديقاً خاصاً بالنسبة لي . وكان يزوريني

مع أصدقائه أغلب الليالي . وكنا نتحدث طوال الليل عن مشاكل المنطقة وهمومها .

وأثناء تواجدي في الجنوب للتنقيب عن الضحايا فقدت أثنين من أعزائي أحدهما (دلير) والثاني (والدي) أما والدي فهو مثل باقي المظلومين من الكرد . الذي قضى جل حياته دفاعاً عن قوميته الكردية وهو رجل خدم القضية الكردية كثيراً .. ولكن لم تخدمه القضية يوماً ما .

وكان أمل دلير هو فتح مركز للأنترنيت في المنطقة لخدمة شباب ذوي المؤنفلين وبعد وفاة كل عزيز لا أجد سوى الدموع . وأرتاح كثيراً عند سكب تلك الدموع .. وكلما أريد الأبتعاد عن الهموم . أبكي بغزارة . ولم أستح يوماً من أولئك الذين يشاهدون دموع عيني .